أيام جمعة

أسامة درويش

أيام جمعة / رواية

أسامة درويش

الطبعة الأولى

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١٠ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

عبد الرحمن حافظ

تدقيق لغوي :

سار سرحان

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٤٨٣٩

أيام جمعة

أسامة درويش

رواية

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء الى كل من أحبهم ....



....كنتُ في تلك الأيام، كورقة شجرٍ جافةٍ تلعب

بها الرياح..و أظنني مازلتُ كذلك!

من رواية عزازيل لـيوسف زيدان.



(١)

- لقد مات القائد، أنت الآن المسئول عن الجيش.

- إيه؟! إزاي؟! ومات إمتى؟!

- ليس هناك وقتٌ لهذا، هيَّا تقدَّم وأمسك زمام المعركـــة، الجنود تحتاج إلى قائد يحرِّكهم.

- إزاي هاقودهم؟ أنا ماليش خبرة في الموضوع ده خالص يا عم..

- هيَّا.. ليس هناك وقت لهذا الهُراء.. هيَّا تقدم.

- طَيِّب.. طَيِّب.. هاقودهم.. بس ما تجيش تِقول ياريـــت اللي جرى ما كان.. هات يا ابني السيف بتاعي.

يتقدَّم جمعة من وسط الجنود إلى المقدمة ويبدأ قيادته بتحريك الجنود يمينًا ويسارًا، يأمرهم باختراق تلك الصفوف، أو إلقاء بعض السهام، وفجأة.. ظهر له قائد العدو.

لقد كان ضخمًا، يحمل فأسًا ضخمًا يطير به رءوس جنوده واحدًا تِلْوَ الآخر، خشي جمعة من ذلك الوحش بأن يطير رأسه هو الآخر، ولكنه هو القائد، ويجب أن يقاتله وإلا فسوف تلازمه صفة الجبن طوال حياته؛ لهذا فقد قرر أن يتخذ قرار الشجاعة والحماقة، وتقدَّم أمام ذلك الوحش ليقاتله.

- أأنت قائدهم أيها الأحمق؟ سوف أُفقدك رأسك الدَّاعر.

- بتشتمني وعاملِّي نفسك قائد؟ ده أنا هاحُطّ عليك.

وتبدأ معركتهم التي لم تصل إلى عشر ثوانٍ؛ حيث فقد جمعة سيفه ودرعه، وركله ذلك الوحش بقدمه على الأرض ليُجهِز عليه.

ولكن مهلًا.. هنا فكر جمعة.. لماذا يحارب بالسيف والنبال ما دام يمكنه القتال بذلك المدفع الآلي (إيه كيه ٤٧) الذي يقبع بجانبه؟! لم يتسائل كثيرًا لماذا تواجد ذلك السلاح بجانبه، ولكنه سوف يستخدمه.

أمسك جمعة المدفع الآلي وابتسم لذلك القائد.

- مش قولتلك هاحُطّ عليك.

وبدأ في إطلاق النار، وقام بقتل قائد الأعداء، وبدأ في قتل جنود العدو، وبدأ العدو في الفرار، وهنا بدأ يسمع هتاف جنوده له، وأيضا بدأ يسمع صوت المذياع الذي يصر والده على إشعاله كل صباح عند استيقاظه بمقطوعة من الأغنيه الخالدة (حلاوة شمسنا)، وعندها أدرك أنه في حلم آخر، وأنه على وشك بدأ يوم جديد في عالم الواقع.

استيقظ جمعة من نومه ونظر إلى موبايله القديم، ووجد أنه استيقظ في ميعاده؛ حيث أنه في أول يوم للعام الدراسي الجديد، ونظر إلى أخيه (إبراهيم) الذي ما زال نائمًا، والذي سيظل نائمًا حتى فتره الظهيرة، وتمنّى أن يكون مكان إبراهيم في ذلك الوقت، لكن هذا لن يحدث؛ لذا فقد ذهب إلى الحمام وخرج وارتدى ملابسه، وصبَّح على والدته (مؤمنة) التي أعدت له ولأبيه ولأخته الإفطار.

- والده (ميسور): هاتيجي معايا النهاردة زي ما اتفقنا امبارح ولّا غيرت رأيك؟

- جمعة: هاجي يا بابا هو فيه أحسن من وسيلة مواصلات بلاش ع الصبح.

- والده: طب خلّص فطارك بسرعة عشان أنا هانزل كمان خمس دقايق ومش عايز اتأخّر.

قام جمعة بإنهاء إفطاره سريعًا، وقام بتجهيز أجندته التي من المقرر لها الامتلاء بالمحاضرات في نهاية الفصل الدراسي.

نزل ميسور وجمعة معًا وسارا ما يقرب من كليومترين حتى وصلا إلى شركة الأتوبيسات العامة الحكومية، لقد كان والد جمعة يعمل سائق للأتوتبيسات العامة منذ فترة، وما زال يعمل بها إلى الآن، وفعلًا قام ميسور بإنهاء معاملاته الورقية، والتأكُد من بعض الأشياء في الأتوبيس، ثم بدأ رحلته اليومية بقيادة الأتوبيس في الخطوط المحددة له، وطبعًا معه ابنه الذي لم يكن يشعر بسعادة جمّه لركوبه تلك الأشياء.

وبدأت الناس في ركوب الحافلة، وبدأت في الاكتظاظ بالبشر حتى اضطر للوقوف لأحد الرجال كبار السن الذين لا يفهم الكثيرون لماذا يستيقظون في تلك الأوقات المبكرة، بل ويقومون بارتياد تلك الأنواع من الحافلات.

ومع اقتراب مكان الجامعة بدأ في تجهيز نفسه، واقترب من والده ليؤكِّد عليه أنه سوف يتأخَّر قليلًا اليوم، وبعدها نزل من الأتوبيس وودَّع والده.

عندما نزل جمعة من الأتوبيس شعر بما يشعر به الجميع في أول يوم دراسي في العام، (يشعر بالتراخي وعدم رغبته في عبور بوابة الجامعة، لا يرغب في التعلُّم، لا يرغب في مقابلة بعض من أشباه الأصدقاء الذين لا يتحدث معهم إلا بالقليل، ولكنه يتحدث معهم، ويريد أن يقابل أصدقاءه الأوفياء ليتحدث معهم ويزيل الكثير من جو التوتر الذي يشعر به الآن).

وها هو يعبر البوابة ويدخل إلى الجامعة، ويتجه إلى منطقة كليته (كلية الحقوق)، التي بالتأكيد لم يكن يرغب بها عندما كان طالبًا في الثانوية العامة، عندما كان يرغب بأن يكون مهندسًا، ولكن موجة أحلام كلية الهندسة تحطَّمت على صخرة مجموعه الهزيل.

يقابل بعضًا من أشباه الأصدقاء، ويلقي عليهم التحية ويقف معهم لثوانٍ معدودة، ويواصل سيره إلى المنطقة التي اتفق عليها مسبقًا مع أصدقائه الحقيقيين، وصل ليجد (نبيل وحازم) يقفان في انتظار المزيد من الشلة.

نبيل: إحنا كنا متراهنين إنك هاتيجي أول واحد.

حازم: إنت ما جيتش مع أبوك ولّا إيه؟

جمعة: لأ جيت معاه، بس هو اتأخَّر شوَيَّة في المصلحة، المهم سيبَك من الكلام الأهبل ده، وركّزوا معايا.

حازم: عندك جديد ولّا إيه؟

جمعة: آه.. إنت مش حاسس إن النهارده أول يوم في الدراسة في السنة التالتة لينا في الكلية؟!

حازم: يا راجل! تصدَّق كنت فاكر النهاردة أوّل يوم في إجازة الصيف؟!!

نبيل: ما هو إنت ما كنتش معانا امبارح..

حازم: إنتم اتفقتم على حاجة من ورايا وإنتم في القهوة إمبارح؟

جمعة: آه إحنا اتفقنا إن السنة دي هانحاول نذاكر فيها من أولها، ونحضر كل المحاضرات، ونبقى من الأوائل، ومش عايز تَرْيَئَة.

حازم: هههههههه.. هو ده اللي إنتم اتفقتم عليه إمبارح؟! طب الحمد لله إني ماجيتش وقررت إني أقعد في البيت.

حازم: آه يا عم، إحنـــا بتـــوع الـضعيف علـــى الرفـــع والمقبوووووول.

جمعة: نفس كلام أيمن إمبارح، برضه قـــال إحنـــا بتـــوع المقبول.. بس والله الموضوع لا عُقَد ولا مشاكل نفـــسية، أنـــا عايز أحس مرة بإني متفوق ومن الأوائل.

حازم: إنت مالك الأيام دي؟! مش مِظَبَّــ...

في نفس اللحظة وصل أيمن وتدخَّل في الحوار مباشرة: إيه يا متفوق، لسه عايز تبقى من الأوائل.. **هههههههه**.

جمعة: أهلًا.

أيمن: إزيك يا حَزُّووم، فاتِتَك قعدة امبارح، قعدنا نضحك فيها للصبح على البهوات اللي قَرَّرُم إنهم يبقو أوائل.

حازم: ما إحنا كنَّا لسه بنتكلم في الموضوع.

نبيل: يالَّا عشان نحضر المحاضرة ونعرف إيه نظام المـــادة دي إن كنَّا هاننجح فيها، ولَّا هايرفعهولنا آخر السنة.

أيمن: يا رب تكون من اللي بتترفع في آخر السنة، أنـــا مـــا بنجحش في الكلية دي من غير حوار رفع المواد ده.

جمعة: طب ياللا، حمدي وعادل زمالهم في السكة، بس (خِلّة) مش هايجي غير بعد اتناشر.

حازم: طب ياللا بينا على المحاضرة.

وبعد ذلك توجَّه الأربعة إلى المحاضرة التي استمرت من الثامنة حتى العاشرة، وبعدها بدأت محاضرة جديدة في مادة أخرى، من العاشرة حتى الثانية عشرة، وبعد ذلك انتهى وقت المحاضرات، واجتمع الأصدقاء من جديد.

حازم: شفت يا عم جمعة أهو حمدي فَلّق من المحاضرة التانية بعد ربع ساعة، يعني مش ناوي يكمّل معاك في حوار التفوُّق.

جمعة: مش عارف.. ممكن يكون تِعِب، أو حَالُه مَقَص، أو أي حاجة.

عادل: لا يا عم، هو كان قاعد جمبي، وقال إنه اتنَفَخ من المحاضرة، ومش هايحضرها تاني طول السنة.

نبيل: تقريبًا هو مش ها يحضر أي محاضرة تاني طول السنة.

أيمن وحازم: هههههههههههههههههههههههههه.

خِلّة - وقد جاء في تلك اللحظة: بتضحكوا على إيه يا مساطيل.

جمعة: مش عارف.. ممكن يكون تعِب، أو حَالُه مَغَص، أو أي حاجة.

عادل: لا يا عم، هو كان قاعد جمبي، وقال إنه اتنَفَخ من المحاضرة، ومش هايحضرها تاني طول السنة.

نبيل: تقريبًا هو مش ها يحضر أي محاضرة تاني طول السنة.

أيمن وحازم: ههههههههههههههههههههههههههههههههه.

خِلّة – وقد جاء في تلك اللحظة: بتضحكوا على إيه يا مساطيل.

حازم: إيه يا خِلّة، فينك يا عم، ماجيتش ليه الصبح؟

خِلّة: بلاش غُلْب، محاضرات إيه اللي تخلّيني أصحى بدري على الصبح، كده أرْوَش.

وبعد ذلك اكتمل حديثه بـ(يالّا بينا نفطر من مطعم عبده الأهطل).

وأكملوا يومهم مثل أي مجموعة أخرى من الشباب، قاموا بشراء بعض من شطائر الفول والفلافل والكبدة طبعًا، محادثات تافهة لا تنتهي من التحدُّث عن الهراء ، لا بأس ببعض

المعاكسات لبعض من الفتيات، وعند اقتراب لحظـــة افتـــراقهم اتفق معظمهم على الحضور بعد انتهاء وقت المحاضرات .

(٢)

ذهب كل منهم لحاله، وذهب جمعة لمنزله؛ ليجد أن والدته تقوم بتحضير وجبةالغداء، وقد حضر والده من عمله منذ فترة وجيزة، وقد حضرت أخته (حنان) من مدرستها الإعداديـــة، بينما كان أخوه في كليته (التجارة) لم يعد بعد.

بعد ذلك تناول الجميع وجبة الغداء، وأثناء وجبة الغذاء دار بعض من المحادثات على غرار..

الوالدة: عملت إيه النهارده يا جمعة؟

جمعة: الحمد لله.

وأيضًا..

الوالد: كان يوم مقرف، والدنيا كل يوم بتتزحم أكتر من اليوم اللي قبله.

الوالد: مَعْلش يا ميسور، إستحمل وهيَّا تُفرج من عند ربنا.

حوار آخر يدور بداخل رأس حنان.. (مُدرِّسة العربي دي شكلها كده هاتتعبني واجب طول السنة، وبرضه شكلها من النوع اللي بيفتش عليه كل حصة، وده مش كويس، بس مُدَرِّسة العلوم كويسة ومش بتاعت واجب ولا أسئلة، بس برضه أنا مش مستريحة لمُدَرِّسة العربي، فيها إيه لو كانوا يخلوا ميس هدير هيَّا مُدَرِّسة العربي زي السنة اللي فاتت، ساعتها ماكُنْتِش هافَكَّر في الواجب ولا في أي حاجة تانية ....).

بعد وجبة الغداء جلس جمعة أمام التلفاز لفترة طويلة وهو يُقَلِّب قنواته؛ حيث كانت عائلة جمعة مثلها مثل أية عائلة مصرية أخرى مشتركة بخدمة قنوات الوصلة التلفزيونية (قليل من المال، وكثير من القنوات المشفَّرة وغير المشفرة)، وبعد ذلك

نظر قليلًا إلى أجندة محاضراته، ورغب في الجلوس أمام شبكة الإنترنت لفترة، و لم يكن يمتلك حاسب آلي في مترله؛ لذا فقد نزل إلى الشارع ودخل سايبر من التي تعج بها المنطقة بعد امتلائها بالعمارات الجديدة، جلس ساعة عرف خلالها مجموعة من المعلومات التي يهتم لأمرها، وبعدها ذهب إلى مترله مرة أخرى، جلس أمام التلفاز فترة، ثم قرر أن وقت النوم قد حان.

دخل لينام وفي ذهنه عدة مشاهد وأفكار لصقت بعقله مما مر به اليوم؛ لتكون حصيلة جيدة يخلطها مخه ويكوّن حلمًا غير منطقي جيد.

استمرت حياة جمعة على ما هي عليه لثلاثة أسابيع، إلى أن استيقظ في يوم من الأيام وهو يشعر بآلام غير طبيعية في بطنه، أو بدقة أكثر، آلام نابعة من أعلى بطنه.

ميسور: إنت لسه ما صحيتش، يالّا قوم عشان ما اتأخَّرش.

جمعة (بضعف واضح في صوته): مش قادر يا بابا، تعبان وبطني واجعاني.

ميسور: طيب، يعني مش جاي؟

جمعة: آه.. تعبان أوي يا بابا.

ميسور: ها تلاقيهم شوية برد وهايروحم لحالهم، لما أرجع ها تبقى تمام، ولو مش تمام نبقى ناخدك للمستوصف.

وذهب والده إلى العمل مثله مثل أي صباح آخر.

بينما قَلِقَتْ عليه أمه، وذهبت إليه في الغرفة، وعندما رأته شعرت بقلق كبير، فعلى وجهه ارتسمت علامات ألم غير طبيعية، فجلست إلى جانبه وظلت تربِّت على جبهته وتؤكد على اكتمال تغطية جسده بغطاء النوم.

وظل الحال كما هو حتى عاد الوالد إلى المنزل، وقد بدأ الجميع بالشعور بالقلق على جمعة؛ فـ(حنان تساعد والدهما من فترة لأخرى بتجهيز الكمَّادات، ولا بأس بتجهيز مشروب ساخن لأخيها، إبراهيم من فترة لأخرى يمر بالغرفة ويلقي نظرة على أخيه، ولكن بدون شعور حقيقي بالقلق، وأمه تجلس بجواره من فترة لأخرى).

هنا قرر الوالد بأن الوقت قد حان للاتصال بطبيب ما ليأتي ويعاين ابنه، لذا يقوم بإجراء الاتصال الهاتفي بالطبيب وينتظره حتى يأتي، وهو يفكر داخل رأسه.. (هوَّ الموضوع كان ناقصك يا جمعة، دكاترة وأدوية وفلوس).

وبعدها يأتي الطبيب إلى المنزل، ويقوم بمعاينته، وبعدها يقوم بكتابة بعض الأدوية، ويؤكد عليهم ضرورة عرضه على مشفى ليقوم بإجراء بعض التحاليل الطبية للتأكد من حالته المَرَضِيَّة، طبعًا يفكر الوالد في رأسه: (مستشفى في عينك، هوَّ كام يوم ويبقى تمام من غير مستشفى ولا يحزنون).. وتنتهي زيارة الطبيب، ويذهب إبراهيم لشراء مجموعة الأدوية التي أوصى بها الطبيب.

بعد عدة أيام تحسَّنت حالة جمعة، ولكنه ما زال يشعر بذات الألم، ورفض والده إجراء تلك التحاليل اللعينة له.

وبالفعل قام جمعة لاستكمال حياته اليومية بين محاضرات وأصدقاء وشاشات تلفيزيون وكمبيوتر، إلى أن أتى يوم آخر، وأثناء جلوسه مع أصدقائه خارج الجامعة، حدث التالي أثناء إحدى المحادثات عن الهراء:

خلِّة: بس الماتش إمبارح كان ولْعَة، واللِّعِّيبة كانوا هايضربوا بعض.

حازم: لا يا عم، دول كانو بيهوّشوا بعض، الضرب ده بحصل عندنا في مصر وبس، ده الحكم كمان ممكن ينضرب عندنا لو اللّعيب سخِن عليه.

خِلّة: آه.. بس برضه يا حَزُّووم، الفاول كان غبي، وكان مقصود، واللّعِّيبة كانت خلاص هايضربوا بعض.

نبيل: بس كويِّس إن الماتش خِلِص بتعادل، لو كان حد فاز كانت الجماهير هاتوَلّع في بعض.

جمعة: الكلام ده عندنا وبس، ما بيحصلش بره.

نبيل: لا بيحصل، ده ساعات في متشات كاس عالم والجماهير بتروَّق بعض.

جمعة: يا عمي مش مهم.

كان جمعة يشعر بآلام طفيفة، ولكن فجأة شعر بألم شديد في أعلى بطنه، ومعه شعر بدوار يسيطر على رأسه، فما كان إلا أن ضغط على بطنه لوهلة ثم فقد الوعي.

انتفض جميع أصدقاؤه وبدءوا في محاولات إنعاشه، ولكنهم فشلوا، احتشد بعض الأشخاص حولهم، وكثير منهم يحاول المساعدة عن طريق رش المياه على وجهه، أو حتى بمحاولة سَقْيِه

بها (كعادة المصريين)، وفي النهاية، وبعد أن وجدوا أنَّ محاولاتهم العقيمة فاشلة، قرروا الاتصال بالإسعاف.

بعد مرور عدة دقائق حضر الإسعاف، وقاموا بحمل جمعة، وقد قرر نبيل وخليل الذهاب معه إلى المستشفى، بينما قام حازم بالاتصال بمنزل جمعة ليخبرهم بما حدث.

بعد مرور حوالي يوم ونصف استيقظ جمعة من غيبوبته، فوجد نفسه على فراش حوله عدد من الأجهزة، ومتَّصل بجسده عدد من الأنابيب.

عندما حاول القيام انتبهت له إحدى الممرضات في المستشفى، واقتربت منه في سرعة لكي تجعله نائمًا في مكانه إلى أن تأتي بالطبيب.

حاول أن يتذكر ما حدث، ولكنه لا يتذكر سوى آخر محادثاته مع أصدقائه، والألم الذي واتاه فجأة.

حاول أن يفسِّر ما حدث له بأنه نوع من أنواع البرد، أو الصداع العنيف الذي سوف يذهب لحاله كما يخبرهم والده دائمًا في حالة مرض أي فرد من أفراد العائلة.

أتى الطبيب ومعه والده ووالدته، وعلى وجههما ملامح من عرف للتوِّ بأنه لم ينجح في أي مادة، وبأنه سوف يُفصل من الجامعة.

جمعة: فيه إيه يا دكتور، إيه اللي حصل يا بابا؟

لم يرد ميسور، ولكن رد الطبيب: الفحوصات الأولية تؤكد إصابتك بسرطان البنكرياس.

(٣)

حسنًا.. حينما يعلم المرء بإصابته بأحد أنــواع الــسرطان؛ فهذا شيء رائع، ولكن عندما يعرف أن ليس هناك علاج لهــذا المرض؛ لأن حالته متأخرة، ولن يكون دور العلاج إلا بزيــادة الحالة سوءًا، فهذا شيء أروع، ولكن حينما يعــرف المــرء أن أمامه شهرين فقط في حياته على وجه البسيطة؛ فذلك أســوء شيء على الإطلاق.

كيف يكون إحساس المرء إذا عرف أنه لم يتبقَّ له في حياته سوى شهرين، وبعد ذلك يصبح مجرد ذكريات وطعام للديدان؟ كل أحلامه، كل جداوله طويلة المــدى انتــهت، المــشاكل المستقبلية التي تؤرقه أيضًا اختفت، أيضًا لــن يكــون هنــاك أشخاص جدد في حياته، كل من حوله الآن هــم آخــر مــن يعرفهم على حق....

عندما عرف جمعة إصابته بالسرطان، وعنــدما عــرف تلــك المعلومات الطبية البغيضة التي تؤكد أنه لن يعيش سوى شهرين فقط، وبعد ذلك سوف تتدهور حالته ليلقى المنية في أقل مــن

أسبوع، لم يكن قادرا على التفكير فالصدمه و الآلام و المعلومات الكئيبه شلّت عقله تماماً .

ظل يومًا كاملًا مستلقيًا على فراش المستشفى يفكر في حالته، في حياته التي نُهِبَت منه على غفلة، ماذا سيفعل؟ كيف سيتصرف؟ ولماذا هو بالذات؟ فليذهب عبده الأهطل للسعير، لا.. بل يذهب كل ما سبَّب له هذا المرض إلى السعير، وليظل بها أمد الآمدين.

وبعد الكثير من التفكير في الأمر، رأى أنه لا فائدة من البكاء على اللبن المسكوب، بل يجب جمع ذلك اللبن مرة أخرى، وإعادته للوعاء، وشربه حتى لو احتوى على جميع أمراض غابات إفريقيا مجتمعة.

عليه أن يحقق كل ما أراده طوال حياته في تلك الفترة، عليه أن يستمتع بما تبقّى له من حياة.

نعم.. هذا هو نوع التفكير الذي سيطر على رأس جمعة عندما قرر الخروج من المستشفى، وعدم إضاعه الوقت أكثر من ذلك.

هناك أشياء عديدة في رأسه يريد تحقيقها، لكنه يعرف أنه لن يستطيع، مثلًا.. هو يريد أن يصعد للقمر ويرى كيف يبدو

الكون من هناك، أيضًا - يريد أن يمتلك يختًا بحريًا ويقوم برحلة بحرية في عرض المحيط تستمر لشهور، يريد أن يصعد على قمة جبل إفرست ويشعر بما شعر به الآخرون عندما لمسوا تلك القمة، يريد أن يجوب العالم ويزور كل أراضيه وعواصمه، يريد أن يقابل فتاة أحلامه.....

كل تلك الأشياء يعلم يقينًا أنها لن تحدث؛ أولًا.. لعدم امتلاكه فترة زمنية جيدة تتيح له ذلك، وثانيًا.. وهو الأهم - أنه لا يمتلك طبعًا المال الكافي.

عندما خرج إلى الشارع شعر بغضب كبير تجاه العابرين، جميعهم يمتلكون فرصة جيدة للحياة، وبالرغم من ذلك يصرون على فعل الأشياء السخيفة المقيتة، مثل الذهاب إلى العمل أو الدراسة أو حتى الشحاذة.

الآن هو يرى أن الجميع عليه الاستمتاع بحياته، ولكنه إذا لم يكن في ذلك الموقف لكان الآن يقوم بفعل نفس تلك الأشياء المقيتة.

(٤)

المهندس شامخ كان عائدًا من يوم طويل من العمل، يفكر في الكثير من المشاكل المنزلية، والخاصة بالعمل، والشحنات المتأخرة، وأثناء ذلك التفكير يقوم بإطلاق سبة بذيئة لأحمق يعبر الطريق ببطء، وبعدما تجاوزه سمع صوت تهشُّم الزجاج الخلفي لسيارته الفخمة ذات الدفع الرباعي، نظر للخلف ليجد قطعة جيدة من القرميد سكنت في الفرش الداخلي للسيارة بعد أن اخترقت الزجاج.

أثناء عبور جمعة للطريق المواجه للمستشفى، تجاوزته سيارة فخمة ذات دفع رباعي، وقام صاحبها الثري الوغد بإطلاق سبة بذيئة له، كان جمعة في حالة غضب وكره للمجتمع، وكان ذلك بمثابة إدخال دبوس ما في بالونة قام طفل أحمق بملئها بالهواء إلى آخرها، فما كان من جمعة إلا أن انفجر مثل تلك البالونة في هذا الوغد الثري، ورفع أقرب قطعة قرميد له، وقذفه بكل قوته على الزجاج الخلفي لسيارة ذلك الوغد...

أوقف شامخ سيارته وتوقَّف هو لبرهة ليفهم ماذا حدث، وماذا سوف يفعل، بينما توقف جمعة - أيضًا - في مكانه لأن

هناك رعشة تعبر جسده، إنه لم يكن شخصًا معادٍ للآخرين من قبل، أو – على الأقل – لم يكن ذا رد فعل سريع معادٍ لتلك الدرجة، هو لا يعلم ماذا سيفعل، ولكنه لن يقبل بأية إهانة.

خرج شامخ من سيارته وهو يحمل مضربًا للتنس كسلاح، وتحرَّك نحو جمعة بجسد قد ملأه الإدرينالين، عندما شاهده جمعة رفع أقرب أكبر قرميد من أسفل قدميه ليواجهه.

عندما اقترب شامخ وجمعة من بعضها تدخَّل عدد جيد من الناس ليمنع انهيار الدماء من جسدي الوغدين، وفعلًا – لم يستطع أي منها توجيه أية ضربة للآخر، ولكن نجح الاثنان في توجيه عدد جيد من السباب للآخر، و لم يرضَ شامخ بالترضيه، وقام بالاتصال بالشرطة، وبعد مرور عدة دقائق جاءت سيار شرطة وحملت الاثنين، والآن هما أمام مأمور الشرطة.

المأمور: إيه اللي حصل برَّاحة كده يا باشمهندس.

شامخ: وأنا ماشي بالعربية قام الواد ده حدف عليَّا طوبة كسرلي إزاز العربية.

المأمور: لوحده يعني كده.

جمعة: ده شتمني من غير ما أعمله حاجة وهو معدِّي من جنبي.

المأمور: الكلام ده حصل يا باشمهندس.

شامخ: آه حصل، عشان هو كان بيتلكّع وهـــو بيعــدي الشارع.

المأمور: طيب من غير كلام كتير.. إنتم الاتنين غلطـــانين، وأنت يا جمعة هاتدفع تعويض للإزاز اللي اتكسر.

جمعة: إزاي يا باشا؟ وهو اللي غلط فِيَّا الأول.

المأمور: وَلَهْ.. أنا مش فايق لأمك، هاتدفع التعويض دلوقتي ولّا معاكش.

جمعة: يا باشا هو اللي غلط فِيَّا الأول، ادفعلو تعويض على إيه؟

المأمور: هو أي حد بيِتْشِتِم في البلد يقوم ياخد حقه بإيده، هو ما فيش حكومة في البلد دي ولا إيه، إنت يالـــه هاتـــدفع تعويض، ولا تاخدلك تريحه في الكراكون؟

جمعة: طب يا باشا ينفع تتصلوا بأبويا يجي؟

المأمور: هات نمرته وإحنا هانكلمه.. يا أنور تعالا خد الواد ده.

جمعة: يا باشا طب نستناه هنا.

المأمور: يالّا يا أنور خُدُه.

وبعد أن سحبه أنور لغرفة الحجز، دار ذلــك الحــديث في غرفة المأمور.

المأمور: خلاص البلد ما بقاش فيها نظام، شوية عيــال ولاد كلب.

شامخ: الواحد مبقاش عارف يعيش من غير قرفهم.

المأمور: ما تقلقش.. هاجيبلك حقك منه، المهم قولّي إيــه أخبار اللواء حامد؟

شامخ: والله كويس، وهابقى ابعتله السلام.

أثناء ذلك الحديث المريض كان جمعة قد دخــل إلى غرفــة الحجز اللعينة، وجد هناك ما يطلق عليهم الآخرين (الأوغــاد)، من السارقين والبلطجيه والقوّادين وبعضٍ من السكارى، كــل منهم في حاله، ينتظر النداء على اسمه ليخرج من تلك الغرفــة اللعينة التي تفوح منها رائحة البول والبراز والعــرق الممــزوج بالتراب.

اختار جزءاً من جدار وسند عليه بظهره، وظل ينظر لهؤلاء الأوغاد، وظل يفكر في حاله المشئوم، ولحياته التي نُهِبَت منــه، وما الذي سوف يفعله الآن.

فكر كثيرًا بأن يقوم بأعمال إجرامية، تتمثل في ســرقة مــا يريده، سواء كانت أموالًا أو سيارات، كل ما يريده ليس عليه سوى أن يسرقه، ولكن ذلك التفكير تدمَّر لعدة أسباب؛ أولًا.. هو ليس مجرمًا، فهو حتى لا يستطيع فتح قفل مــا بأيــة آداة معدنية، ثانيًا: ليس هناك أحد من أصدقائه بارع في مثل تلــك الأمور، فكلهم من هواة الحديث والحديث فقط، ثالثًا - وهــو الأهم: المكان الذي يقف به الآن هو لا يريد العودة إليه مــرة أخرى، وقضاء ما تبقّى من عمره القليل به؛ لذا فقد ظل يفكر ويفكر دون أن تلمع أية فكرة برأسه...

عندما جاء ميسور إلى قسم الشرطة، وعرف ما الذي حدث بالضبط، وعندما عرف المبلغ المالي للتعــويض الــذي تجــاوز الــ ٨٠٠ جنيه، قرر أن يلعب بورقة مرض ابنه، وأن يحاول أن يحصل على شفقة المهندس والمأمور، وبالفعل حــصل عليهــا، وعندما خرج جمعة من حجرة الحجز ومن القسم، وجد شامخ وبجانبه والده في انتظاره.

جمعة: معلش يا بابا، أنا غلطان.

ميسور: مش عارف أقولك إيه يا جمعة يا ابني.

شامخ – وفي صوته لهجه اعتذار واضحة: معلش يا حاج، يا جمعة أنا بعتذرلك على الشتيمة، وأنا اللي غلطان من الأول.

جمعة – وقد بدأ يفهم ما دار بينه وبين والده: هـــه! إزاي يعني؟!

شامخ: والله أنا لما والدك قال لي على حالتك، والله زعلت جدًّا على اللي أنا عملته، وكان مفروض إني أمسك أعـــصابي، وأنا بعتذرلك تاني، ولو فيه حاجة عايزني أعملهالك قول.

جمعة: لا، أنا مش عايز حاجة، ألف شكر.

وبعد ذلك صافح شامخ، وتحرَّك هو ووالـــده إلى مترلهـــم، وميسور لا ينفك عن معاتبته له على تصرفاته الرعناء.

(٥)

الآن جمعة في مترله الذي تحوّل فجأة إلى مكان صـــامت، لا يدور فيه أي حديث، تنبعث منه رائحة الحـــزن والحـــيرة، الأم طوال الوقت تبكي وتدعو لابنها بالشفاء، والأب يفكر بصمت في تلك المحنة، وإخوته يدّعيان الاستذكار من آن لآخر، بينمـــا هما يحاولان أن يفهما الموقف، إنهم على وشك فقدان أخيهمـــا الأكبر، صحيح أنه لم يكن ذا تأثير كبير عليهما، ولكنه لا يزال أخاهما، جمعة نفسه ما زال يفكر في كيفية تحقيق أحلامه فيمـــا تبقّى من أيامه، ظلوا هكذا إلى أن آوى الجميع إلى النوم.

وجد جمعة نفسه فجأة في صحراء ذات لون أزرق عجيب، ذات أشعة شمس حارقة، بلون أخضر متوهج، وجـــد أمامـــه مجموعة من آثار الأقدام، كلها تتجه إلى مكان واحـــد، بينمـــا انحرفت مجموعة من آثار الأقدام عن مجموعة الآثار الرئيسية، في كل نهاية أثر منحرف وجد قصورًا شامخة متوهّجة، بينما كانت نهاية الآثار الرئيسية مقبرة ضخمة تعجُّ بالتوابيـــت وأضـــرحة الموتى، وبرغم ذلك قرر جمعة أن يأخذ طريق آثـــار الأقـــدام الرئيسية، لا يعرف لماذا اتخذه، ولكنه لم يشغل باله كثيرًا.

أثناء سيره شعر بسخونة المناخ من حوله، وفقدان جسمه للماء الغزير على هيئة عرق غزير، وبالرغم من ذلك استمر في طريقه البائس.

وفجأة ظهر له مسخ ضخم ذو مخالب عملاقة وفم ممتلئ بالمفكات والمسامير، ولكن ذلك المسخ لم يكن يمتلك عيونًا، ولكن بدلًا من العيون كانت هناك أربعة حروف محفورة، تلك الحروف الأربعة اعتاد جمعة كتابتها كثيرًا، إنها حروف اسمه الأربعة.

بلا مقدمات بدأ المسخ هجومه على جمعة بمخالبه العملاقة، ولكن جمعة لاذ بالفرار وانحرف عن آثار الأقدام الرئيسية، ولكن ذلك المسخ لم يتركه، بل استمر في مطاردته إلى أن استطاع نهش ظهر جمعة و إخراج جزء من عموده الفقري، لكن جمعة لم يُصَبْ بالشلل، وإنما استمر في ركضه إلى أن اختفى المسخ واستطاع الهرب منه.

وبدأ ينظر للعالم من حوله؛ فوجد أنه وسط ما يشبه الحديقة ممتلئة بالزهور والكائنات اللطيفة، فابتسم، ترك نفسه يسقط على الأرض ليستريح، ولكن فجأة وجد الأرض تحدثه وتقول له: اخرج من هنا أيها المشوه، نحن لا نستقبل المشوهين..

نظر جمعة إلى ظهره، واستفهم لماذا ترفـــضه الأرض، لقـــد أصبح ظهره صالحًا للظهور في أفلام الرعب المعوي؛ فقد فكان جزءًا من عموده الفقري متدلٍّ، ومعه بعض الأعصاب المتدلية، وأيضًا بعض من عضلات الظهر، قال جمعة: بس أنـــا حبيـــت المكان ده ومش هاطلع منه.

لم ترد الأرض، ولكن فجأة بدأت الكائنات اللّطيفة بالهجوم عليه وقضم أجزاء من جسده، ثم انشق جزء من الأرض ليبتلعه، فصرخ صرخة ضخمة، واستيقظ من نومه ليجد أمـــه وأخـــاه هرعوا لغرفته ليفهموا ماذا حدث، وبعد أن عرفوا أنه كـــابوس رجع كل منهم إلى ما كان يفعله، نظر إلى شباك غرفته؛ فوجد أشعة الشمس تتخللها، نظر إلى ساعته فعلم أن الوقت قد تخطّى الساعة الثالثة، فشعر بحنق كبير؛ لأن وقته الثمين يمر بـــدون أن يقوم بأية أفعال.

حسنًا.. لقد حان الوقت لمقابلة أصدقائه...

(٦)

بعد عدد من المكالمات الهاتفيـــة لأصـــدقائه للاجتمـــاع في مقهاهم المفضل وافق الجميع على أن يجتمعوا ليروا صـــديقهم جمعة، وليعرفوا منه ماذا حدث له.

بعدما تخطَّت عقارب الساعة الثامنة كان جمعة قد وصل إلى المقهى، وقد وجد كلًّا من نبيل وعادل في انتظاره، فاتخذ مقعدًا على نفس الطاولة وبدأ الحديث.

جمعة: إزيكم..

عادل: إنت اللي ازيك.. إيه اللي حصلّك في المستشفى؟

نبيل: ومابتردّش على تليفوناتنا ليه يا عم؟ قالولك هـــاتموت ولا إيه؟

جمعة: هاقولكم، بس أنا عايز أستنَّاهم الأول لُمـــا ييجـــوا كلهم، وبعدين أحكي مرة واحدة.

نبيل: ما تقول يا عم، واحنا لسه هانِستَنَّاهُم

جمعة: عشان ماقعدش أحكي مرّتين وأنا مش عايز أضيع وقتي في حكايات.

عادل: ماشي يا عم المهم، أنا هاطلب شاي، إنتم هاتطلبوا إيه؟

نبيل: هو رسلان اللي واقف النهارده؟

جمعة: آه، أنا شفته وأنا داخل.

نبيل: يبقى هاطلب تفاحة مع نسكافيه.

عادل: ماتبطّل أم الاستغلال ده، هو إنت عشان تعرف الواد تقوم ترَوَّقُه في الفلوس.

نبيل: يا عم ده صاحبي من أيام لما كان في آخر سنة كلية، وبعدين هو بيعملّي خصم خفيف، ومابيدفَعْليش حاجة من جيبه.

وعندها دخل خليل وحازم وأيمن إلى المقهى...

خليل: إيه يا عم جمعة، لا سلام ولا كلام؟ هو إنت عشان رحت المستشفى عِليت عَلينا ولّا إيه؟

جمعة: يا عم مَعْلِشّ، إنت عامل إيه؟

اتخذ كل منهم مقعدًا على نفس الطاولة، بعــد أن حيَّــوا بعضَهم البعض.

حازم: قشطة، رسلان هوَّ اللي واقف، أنا هاطلب تفاحــة وكاكاو.

أيمن: واحد كابتشينو وِش.

خليل: أمَّال فين حمدي؟

نبيل: مش عارف، ماتتصل بيه يا عادل، مش إنــت لــسه شاحن؟

عادل: هوَّ عشان لسه شاحن فاقوم أفَرْتِك الرصيد؟

نبيل: خلاص يا اخويا رِنّله.

عادل: ما ترنله إنت.. ما إنت عارف إنه بيفتح على اللــي بيرن عليه على طول.

خليل: يوووووه.. خلاص أنا هاتصل بيه.

وقبل أن يقوم بالاتصال جاء حمدي...

نبيل: إيه يا زفت؟! على طول مِتْأخَّر كده؟!

حمدي: مواصلات يا عم، وبعدين هو أنا اتأخَّرت على إيه يعني؟ اجتماع الأمم المتحدة؟

خليل: طب اقعد يا سيادة السفير.

حمدي: أنا شُفْت رسلان وأنا داخل هـو اللـي واقـف النهارده، مش كده؟

نبيل: آه يا عم.

حمدي: قشطة.. تفاحة ونسكافيه.

وبعد ذلك جاء رسلان (خريج كلية تجارة منـذ عـامين) ليأخذ الطلبات منهم، وقد لاحظ أهم ينوون استغلال معرفتهم به.

رسلان: النهارده مافيش خصومات.. خلو بالكم.

نبيل: ليه يا باشا كده.

رسلان: أصل النهارده اليوم نايم، والزباين كلهم عـايزين شاي ومعسِّل.

نبيل: خلاص يا معلم، اقلب اللي أنا قلته، وهـات واحـد قهوة زيادة.

حمدي: واحد معسل وشاي.

حازم: واحد معسل بس.

بعد انتهوا من طلباتهم استكملوا حديثهم...

عادل: ها يا جمعة، قولنا بقى كان عندك إيه، وعملولك إيه في المستشفى؟

جمعة: اللي هاقوله دلوقتي مافيهوش أي حــوارات... أنــا عندي سرطان بنكرياس في حالة متقدمة، وفاضلّي في حياتي أقل من شهرين.

أيمن: ههههههههه.. العب على الحوارات.

حمدي: هههههههههه.

جمعة: أنا بتكلم بجد، وآدي ورق الفحوصات.. اتْفَرَّجُم.

مرَّر جمعة تلك الأوراق اللعينة بينهم؛ لكي يتأكــدوا مــن صحه كلامه، وبعد أن رأى كل منهم وتأكَّد ممَّا يقوله جمعــة، صمتوا لفترة لا يعرفون ماذا يقولون أو يفعلون، إلى أن تحــدَّث خليل.

خليل: لا حول ولا قوة إلا بالله، إزاي يعني حَصَلَّك كده؟

جمعة: ماعْرَفْش، بس الدكاترة فهّموني إن أي حــد ممكــن يلبس سرطان من غير ما يعرف في أي وقت من حياته.

خليل: طب مافيش أي علاج؟

جمعة: لأ مافيش، أنا في زفت حالة متأخَّرة، وكل اللي هايعمله العلاج إنه هايموِّتني بدري.

عادل: إزاي يعني؟

جمعة: ما إنت عارف حوارات الكيماوي والبلاوي اللي بيعملها في الجسم.

خليل: طب ما تجرب، يمكن ييجي منه نفع.

جمعة: يا ابني إفهم، مافيش علاج ينفع لي، وغير كده.. العلاج ده بجانب إنه مامِنّهوش أمل، غالي فَرْك، وأبويا ماعهوش فلوس تِغَطّي رُبع العلاج.

نبيل: ممكن يبقى على نفقة الدولة؟

جمعة: ممكن آه، بس إنتم مش عايزين تفهموا ليه إن العلاج مامِنّهوش فايدة، وبعدين حوار نفقة الدولة ده عايز وقت أنا مايمتلكهوش، ولف ودوران أنا مش فاضيله.

عادل: طب إنت ناوي تعمل إيه يعني؟

جمعة: مش عارف.. بس بما أني هاموت بعد شهرين، فأنا ناوي أعمل كل حاجة أنا كان نفسي أعملها.

خليل: إيه يا عم اللي إنت بتقوله ده؟ إنت خلاص استسلمت للموت؟

جمعة: أنا خلاص فكّرت ومش ناوي أضيع وقت تاني.

خليل: يا ابني بلاش هَبَل.

جمعة: إنت اللي بلاش هَبَل، إنتم مش قادرين تِستَوْعِبوا الموقف صح، أنا عندي سرطان بنكرياس في حالة متقدمة، ومالهوش علاج، وفاضلّي أقل من شهرين عشان أعيشهم، وبعدهم في أقل من أسبوع حالتي هاتتدهور وهاتّكِل من الدنيا.. ها.. فهمتم؟

بعد مرور فترة من الصمت بدأ حمدي الحديث...

حمدي: طيب يا جمعة، إنت ناوي تعمل اللي إنت نفسك فيه إزاي من غير فلوس؟

جمعة: ما هو ده اللي أنا جايبكم عشانه.

حازم: إزاي يعني؟

جمعة: بما إنكم آخر أصحاب أنا ممكن أقابلهم في حياتي فأنا بطلب منكم مبالغ مالية تقدر تساعدني في تنفيذ أحلامي.

نبيل: هههههه.. هو إنت عقلك جراله حاجة مـــن حـــوار البنكرياس ده؟

عادل: إنت عبيط يا نبيل، بتضحك على إيه؟

حازم: معلش برضه يا عادل، ما هو معاه عذره برضه، يعني إنت أساسًا ماعَكْش فلوس القهوة.. هاتدفع إزاي الآلاف دي؟

صمت عادل بينما تحدَّث خليل...

خليل: فهِّمْني يا جمعة، إنت عايز مِنّنا إيه؟! ما إنت عـــارف إن الفلوس اللي معانا ماتكَمِّلش تَمَن عجلة من غير سرعات.

جمعة: مش عارف.. بس أنا ماقُدَّاميش غيركم، مافيش حد فيكم يعرف يِتْصَرَّفْلي في فلوس؟

أيمن: بُص يا جمعة، أنا ممكن اتصرَّفْلَك في شوية فلوس، بس مش اللي تحقَّقْلَك كل أحلامك يعني..

حازم: ها تاخد من أمك ولا إيه؟

أيمن: آه.. هيَّا كانت ناوية تِدِّيني مبلغ من أسبوعين علـــى الأيَّام دي، وأنا ماعنديش مشاكل لو استغنيت عنه.

صمت الجميع مرة أخرى بعدما رأوا ما فعله أيمن..

جمعة: ألف شكر يا أيمن، مش عارف اقولَّك إيه؟

أيمن: يا عم ما تقولش، وبعدين إنت خلاص هاتْوَدَّع، لكن أنا لسه شوية عَلَيَّا، أكيد الفلوس دي هاتجيلي تاني.

خليل: يعني إنت ناوي تعمل إيه بالفلوس؟ فَهِّمنا يا جمعة.

جمعة: هاحاول أحقق بيها أي حاجة أنا ممكن أحققها، إنت فاهم.. أي حاجة أعرف أطولها قبل ماتِّكِل يا عم.

وبعد مجموعة أخرى من المحادثات، لم يجد جمعة غير أيمـــن الذي سوف يساعده، بينما الآخرون مُفْلسون، وعائلاتهم ليس عندها استعداد أن تفقد أموالها على أحمق مثله.

وبعدها تفرَّق كل منهم في طريقه، وعاد جمعة إلى منزله بعد أن علم أن أصدقاءه لن يساعدوا في تحقيق أحلامه، حتى المبلـــغ الذي سوف يحصل عليه من أيمن لن يحقق سوى القليل، بل أقل من القليل، لذا فليس أمامه الآن سوى شخص واحد يمكـــن أن يعطيه قسطًا جيدًا من الأموال، وذلك الشخص هو والده.

(٧)

عندما عاد جمعة إلى منزله، وجد أن كل عائلته قد نامت، ما عدا أمه التي انتظرته، وبالطبع مرسوم على وجهها كل علامات الحزن، والدموع تنهمر من وقت لآخر على وجهها، فتوجَّـــه إليها جمعة لكي يحادثها.

جمعة: إزّيك يا ماما.

والدته: أنا عَمَّالة أدعيلك ليل ونهار، وأطلب من ربنا إنــه يشفيك، إشْمِعْنى إنت يا ابني؟ إشْمِعْنى إنت؟!!!

جمعة: مش عارف، بس هاعمل إيه؟ هباب ووقـــع علـــى دماغي، المهم يا ماما.. أنا عايز أكلمك في موضوع.

والدته: قول يا ابني.. خير.

جمعة: والله يا ماما أنا كنت محتاج شوية فلوس، وعـــايزك تكَلّميلي بابا؟

والدته:عايز كام وأنا أجيبْهُومْلَك؟

جمعة: عايز كتير.. على قد ما تقدروا.

والدته: هه!! ليه؟! هاتعمل إيه بالفلوس يا ابني؟

جمعة: هاحاول أعيش بيها قبل ماموت.

والدته: بعد الشر عليك.. إنت مش هايجْرالَك حاجة، أنا بدعيلك ليل نهار.

جمعة: يا ماما إنت ماسمِعْتيش كلام الدكاتره وأرقام التحاليل؟ الموضوع خِلِص.

والدته: يا ابني ربنا كبير، و ماتِستَبْعِدْش حاجة عنه.

جمعة: أنا عارف يا ماما، بس إنتي ماردِّتيش عليَّا في موضوع الفلوس.

والدته: مش عارفه يا ابني.. بس أنا هاكَلِّمْلَك أبوك وهو اللي يقول مِشْ أنا.. إنت عارف لو إنت عايز مبلغ صغير أنا هادِّيهُولَك.. لكن إنت عارف الميزانية في إيد ميسور... ويا ابني ماتضَيَّعْش وقتك غير في عبادة ربِّنا وإنك تطلب منه إنه يشفيك.

جمعة: طيب طيب.. أنا داخل أنام عشان أنا تعبان، وبكره ماتِنْسيش تِكَلِّميلي أبويا والنبي.

والدته: حاضر يا ابني يا جمعة، ربنا يشفيك ويبعد عنك لعناته يا رب يا كريم، إنت الشافي، إشفيلي ابني.

بعدها أوى جمعة إلى فراشه وهو يفكر في المبلغ المالي الـــذي سوف يحصل عليه من أيمن بعد غدٍ، بينما يحاول أن يحصل من والده على مبلغ مالي آخر يوم غدٍ، وأثناء تفكـــيره امتزجـــت أفكار عقله الباطن بأفكاره اليومية؛ لتخلق مجموعة من الأحداث غير المنطقيه، تمهيدًا لتكوين حلم عجيب آخر.

ها هو يجد نفسه أمام بوابة متواضعة لبنك مالي ما، وبداخله وَجَد شخص يجلس على مكتب كُتِبَ عليــه: (أمــوال بــلا ضمان)، تقدَّم جمعة إلى داخل البنك، فوجد أن قاعته ضخمة، وبداخِلِها مئات من البشر الذين يقومون بإيداع الأموال، فقط هو الذي يريد أن يأخذ أموالًا.

تقدَّم إلى الموظَّف وطلب منه أن يأخذ مبلغًا ماليًّـا مقـــداره مليون جنيه، عندها نظر إليه الجميع، ورأى في عيـــونهم أشـــعة ملتهبة وشخص ما يطلق عليه سبة بذيئة، وشخص آخر يُخرِج هاتفًا لينادي رجال الأمن.

فبصوتٍ خافتٍ قال لنفسه: ما هذا الهراء؟

وجد رجلًا يرتدي سترة فخمة يقول له: هذا الهراء لا يحدث إلا اذا تواجد أمثالك هنا أيها الحثالة.

جمعة: بس مكتوب فلوس من غير ضمان، وأنا ماعنديش ضمان، إزاي بقى مش عايزين تِدُّوني فلوس؟

هنا فقط توقَّفت الحركة، وتوقَّف رجال الأمن عن التحرُّك تجاهه، وقال له الرجل صاحب السترة الفخمة: أقلت إنك لا تمتلك أي ضمانات؟

جمعة: أيوه يا عم ماعنديش ضمانات، ده أنا مِشَفّر.

صاحب السترة الفخمة: أحقًّا؟ حسنًا.. لك ما تريد.. فقط اعبر تلك البوابة التي أمامك.

نظر جمعة إلى البوابة التي لم تكن موجودة من قبل، لكنه لم يهتم؛ لأنه رأى بداخلها أموال كثيرة غير منتهية، وعبر منها بقفزة عالية، ووجد نفسه في بحر من الأموال، ولكن لحظة... لم تكن هناك أي أرضيَّة.. فقط أموال بدون أساس، وهنا بدأ في الغرق والهبوط إلى أسفل، وبدأ يصرخ، ولكن لم يستمع إليه أحد، فقط سمع جملة بصوت عالٍ: (ها هي الأموال.. افعل بها ما تريد.. أنت وحدك الآن).

وجد جمعة نفسه يختنق، والأموال بدأت في الدخول إلى رئتيه، ولكنه لم يمت، لقد وجد نفسه يستنشق الأموال بكل سهولة، حسنًا.. الآن عليه الصعود إلى أعلى للخروج من تلك

الأموال، ويبدأ في صرفها، ولكن ما هذا الذي عبر أمامه؟! إنــه مخلوق شكله مخيف بعض الشيء، وبدون أي مقدمات قــضم ذلك المخلوق ذراعه الأيسر.

صرخ جمعة، وصرخ، وصرخ، لقد كان ينزف أموالًا مــن جسده، وبدأ يشعر بالاختناق.

رأى ذلك المخلوق البغيض يعود إليه مرة أخرى لكي يقضي عليه.. هنا فقط استيقظ جمعة، ليجد أن أذان الظهر في أوله.

قال لنفسه: هو أنا مش هاخْلَص من الأحلام الزّبالة دي؟ ده أنا شوية كمان وكان قلبي هايقف.

(٨)

بعد أن أنهى جمعة عادته اليومية، جلس على أريكته المفضلة بالمترل ليفكر بتأنٍّ فيما سوف يفعله، هو يعلم أن المبلغ المالي الذي سوف يحصل عليه لن يكون جامحًا، بل متواضعًا للغاية، ولهذا عليه أن يضع خطة جيدة لإنفاق المال بطريقة تحقق معظم أحلامه.

لكنه يعرف يقينًا أنه لن يحقق أي شيء، ولكن في أثناء تفكيره وثبت إلى عقله فكرة بارعة حقًّا، كان يُنَفِّذها عندما كان صغيرًا، وكانت الفكرة بسيطة وعبقرية، وهي (العوالم الافتراضية)، وتتلخَّص في جملة واحدة: (لماذا أضيع وقتي الثمين ومجهودي في محاولات فاشلة لن تحقق شيئًا في العالم الحقيقي، ما دام يمكنني تحقيقها - وبسهولة - في عوالم خيالية افتراضية من نَسَقِ خيالي وتفكيري).

عندما وثبت تلك الفكرة إلى رأسه شعر بالأمان، و كما يقولون بالإنجليزية (secure)، الآن هو يتملَّك خطة جيدة يستطيع من خلالها أن يعيش عددًا جيدًا من الحياوات في وقت

قليل متاح له، فقط هو يريد المكان الجيد لكي يستطيع أن يطلق فيه العنان لمخيلته، وبعض الأموال التي سوف تغطي مصاريفه اليومية.

عندما أراد أن يفكر بالمكان لم يفكر كثيرًا؛ لأن أول مكان وثب إلى عقله كان الإسكندرية؛ لأنه طالما أحب تلك المدينة كثيرًا، وهي بالتأكيد أفضل مكان يمكنه من خلاله أن ينفّذ خطته بأريحية، دون أن يضايقه أحد.

بالتأكيد يريد مكانًا يمكث به، وكانت تلك مشكلة بسيطة، حلُّها أبسط، هو يعرف أن أسرة صديقه خليل تمتلك شقه قديمة (وِرْث) في الإسكندرية في منطقة الأزاريطة أمام البحر مباشرة، وهم لا يذهبون إليها إلا في فترة الصيف فقط، وطوال العام هي مغلقة، وهو شخصيًّا قد قضى فترتين من إجازته الصيفية بها مع أصدقائه بعد أن دعاهم خليل.

حسنًا.. مقابلة مع صديقه خليل وبعدها يذهب إلى هناك، وفي عقله.. هو أيضًا يعرف يقينًا أن الإسكندرية هي المكان الذي يجب أن يقضي به نحبه.

المشكلة الثانية الأموال، وسوف يقوم أيمن بحل جزء منها، بينما سوف يتفاوض مع والده من أجل الحصول على المبلغ

الآخر، هو الآن يأمل أن يحصل فقط على مبلغ جيد يعينه على حياة قصيرة جيدة بالإسكندرية.

بعد أن أتى (ميسور) إلى المترل بعد يوم شاق بالعمل، وبعد أن تناولوا وجبة الغداء، وبعد أن حدَّثته زوجته عمَّا يريده ولده جمعة، لم يرد عليها، بل ذهب مباشرة إلى ابنه وفي رأسه مجموعة من الأفكار الساخطة المشتعلة..

ميسور: إنت كنت بتقول لأمك إنك عايز فلوس كتيرة؟

جمعة: يعني شوية.

ميسور: ليه بقى إنشاء الله؟

جمعة: يا بابا أنا خلاص بَوَدَّع، عايز أعيش بيهم قبل ماموت.

ميسور: لا حول ولا قوة إلا بالله، إنت بتقول إنك بِتْوَدَّع تقوم تضيَّع وقت في كلام فارغ؟

جمعة: فارغ إزاي يا بابا؟! وهو أنا هاعمل إيه؟

ميسور: ماعْرَفْش.. بس اللي أنا أعرفه إن اللي إنت عايزه مش هاتنوله.. عارف ليه؟

جمعة: ليه بس يا بابا؟

ميسور: تعالا افترِض معايا إني ادِّيتَك فلوس زي ما إنـــت عايز تمام، وبعد كده سيادتك صرفتهم، وبعدها إنت مُـــت.. تمام؟ أنا هاعمل إيه بعدها بقى؟ أتحزِّم وارقُص، ولَّا أحزِّم أمك وإخواتك وأرقَّصهُم في مَحَطَّات المترو؟

جمعة: بس يا بابا أنا عـــ..

ميسور: مابَسِّش، وبعدين إنت عارف إن الحالة المادية زِفْت وقطران، وكل يوم الحاجة بِتْوَلَّع أكتر وأكتر.. وبعدين إنـــت فاكر إن معايا كام عشان تفتكر إنك ممكن تعمل اللي نفـــسك تعمله؟

جمعة: ماعرفش يا بابا.. بس إنت إسمعني بس.

ميسور: أسمع إيه بس؟ إنت اسمع مني.. إنت مـــا تـــضيَّعش وقتك في اللي في دماغك، وضيَّعه في العبادة، ولَّما تدخل الجنـــة إبقى اعمل اللي نِفْسك فيه هناك، ها.. إيه رأيك؟

جمعة: بُص يا أبويا.. أنا مش عايز فلوس كتير ولا حاجـــة، إيه رأيك في تُلْتُميت رُبْعُميت جنيه؟

ميسور (وبعد تفكير): إنت كنت عايز دول بس من الأول؟

جمعة: لا.. ده بعد تغيير الرأي.

ميسور: آه.. بس عشان مافتكرش إني غَليت دمي على الفاضي، بص هوَّ رُبْعُميت جنيه كتير، وبرضه تُلْتُميَّة، وخصوصًا بعد فلوس المستشفيات اللي دفعتها، الله يخرب بيوتهم ويولِّع فيهم مطرح ما هما قاعدين ويسخطهم لقرود.

جمعة: طب وانت هاتدِّيني كام؟

ميسور: إيه رأيك في ميتين وخمسين؟

جمعة: ماشي، وفيه حاجة عايز أقولهالك تانية.

ميسور: ها..

جمعة: أنا ناوي أروح إسكندرية حبة، إيه رأيك؟

ميسور: نعم؟ وها تعمل إيه هناك؟

جمعة: ما إنت عارف يا بابا أنا بحب الإسكندرية، وعايز أقضي فيها يومين قبل ماتّكل.

ميسور: توء.. ماشي.. بس انساني في فلوس المكان اللي هاتقعد فيه هناك.

جمعة: ما تقلقش.

وبعد أن أنهى جمعة ذلك النقاش بفترة اتَّصل به أيمن وطلب أن يقابله؛ فوافق جمعة على الفور على أن يتقابلا في نفس المقهى، وبعدها اتصل جمعة بخليل وطلب منه أن يأتي ليقابله.

عندما تقابل الأصدقاء في المقهى لاحظوا عدم وجود رسلان، ولكنهم لم يهتموا كثيرًا؛ فهم هنا اليوم من أجل جمعة فقط، حتى جمعة فهو أيضًا هنا من أجل نفسه، جاء جمعة أولًا، وبعده جاء خليل وأيمن.. بعد أن ألقوا التحية على بعضهم البعض، وبعد أن طلبوا طلباهم، بدأ أيمن بالحديث.

أيمن: يِتْهَيَّأْلي إنت عارف أنا كلمتك ليه يا جمعة، أنا النهاردة أمي ناولتني الفلوس.

جمعة: آه.. ما أنا اتوقَّعْت برضه، والله يا أيمن أنا بشكرك جدًّا.

أيمن: يا عم تشكرني على إيه؟ دول شوية ورق، والحياة لسه فيها كتير عشان يجيلي زَيُّهُم.

خليل: خلاص يا عم أيمن، إنت بتعايره؟

أيمن: هههههه.. لا والله، مش قصدي.

جمعة: فاهم قصدك، وبرضه أنا بشكرك أوي يا أيمن باشا.

خليل: طب تمام، إنت يا جمعة لمّا كَلّمْتني في التليفون كنت بتقولّي إنك عايزني في حاجة مهمة.. خير؟

أخبره جمعة بما ينوي أن يفعله، وكيف ينوي أن ينهي أيامه في الإسكندرية.

خليل (بعد أن استمع إلى طلب جمعة): بص يا جمعة.. إنت عارف قبل ما تسألني إيه هيَّ إجابتي، مـــن بكـــرة هاجيبلـــك المفتاح بتاع الشقة، ولو عايزني أوصّلك ليها قول.

جمعة: ألف شكر يا خليل، وأنا هابقى أروح لوحدي، أنـــا مش عايز أتعبك معايا.

خليل: طيب انا هابقى أكلم البوّاب هناك عشان يستقبلك، وهناك هاتلاقي الشقة جاهزة، بس أكيد هاتِبْقى عايزة شـــوية تنضيف.

جمعة: ماتقلقش أنا هاتصرّف.

خليل: بس إنت ناوي ترجع تاني، مش كده؟

جمعة: أكيد أكيد.

وفي رأس جمعة.. هو لا ينتوي العودة مرة أخرى، ولكنه يريد أن يطمئنه أنه لن يموت بتلك الشقة.

وبعد ذلك أعطى أيمن جمعة ظرفًا مكتوبًا عليه (عشان جمعة)، وبعد أن شكره جمعة، وبعد عدد جيد من عبارات المواساة من جانب كلٍّ من أيمن وخليل، حان وقت فراقهم، بعد أن أوصلوا جمعة إلى باب عمارته، وبعد أن افترقوا، دخل جمعة إلى منزله.. كان الجميع قد أوى إلى الفِراش، ما عدا والدته، التي كانت مستمرة بالصلاة والدعاء له، دخل إلى غرفته، وقام بفتح الظرف، وعدَّ المال؛ فوجده سبعمائة جنيه.

وفي عقله قال لنفسه: هذا مبلغ جيد، بالإضافة إلى مبلغ والده، سوف يستطيع أن يعيش في الإسكندرية ما تبقّى له من أيام على وجه البسيطة، وفي عقله كان قد قرر أن يكون غدًا مساءً هو يوم المغادرة.

(٩)

عندما استيقظ جمعة من نومه، باشر مَهَمَّاته فورًا؛ فقد بدأ بتجهيز حقائبه التي لم تكن كثيرة، وقام بالاتّصال بخليل لكي يأخذ منه مفتاح شقة الإسكندرية، وبعد أن قابل خليل وأخذ المفتاح منه، ودعه وعاد إلى منزله، بعد أن قام بحجز مقعد في الحافلة المتجهة إلى الإسكندرية مساءً.

جلس يتناول الغداء مع عائلته، (الغداء الأخير) إن صحّ التعبير، وهو ينظر إليهم واحدًا واحدًا ويفكر في ذكرياته مع كل واحد منهم، يتذكّر مباريات كرة القدم التي خاضها مع أخيه إبراهيم، والمعارك التي تصديا لها معًا في الشارع، أيضًا يتذكر مواقفه مع أخته الصغيرة.. عندما تاهت أثناء عودتها من المدرسة، وكيف وجدها تلهو بدميتها في الطريق الخلفي للمنزل هي وصديقاتها، أيضًا يتذكر والدته وحنانها الدائم عليه، واكتراثها لكل ما يقوم به، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا، أما والده فكانت ذكرياته معه محدودة؛ فقد كان دائمًا يسعى لكسب المزيد من الأموال، و لم يكن يهتم كثيرًا بأبنائه.

انتهى الغداء، وجلس مع عائلته يحدثهم ويحدثونه، بـــالطبع كان الحزن هو البكتريا التي نجحت في الاســـتيطان في معظـــم المحادثات.

عندما أخبرهم جميعًا بأنه ذاهب إلى الإسكندرية لفترة مـــن الزمن؛ حاولوا جميعًا أن يُرجِعـــوه عـــن قـــراره، ولكنـــهم لم يستطيعوا أن يعدِّلوا من رأيه، فما دامت تلـــك هـــي رغبتـــه؛ فليحقِّقها قبل فوات الأوان.

قام والده بإعطائه المال الذي اتفقا عليه، وقامـــت والدتـــه بإعطائه مجموعة صغيرة من الأوراق المالية لعلها تساعده أكثر.

حلَّ اللَّيل، وقد حان وقت الفراق، ودَّع عائلتـــه واحـــدًا واحدًا بالكثير من البكاء والدعاء، وكان يخبرهم بأنه عائد بعد مرور أسبوعين فقط ليطمئنهم، وبعد أن قام بتوديع عائلته نزل إلى الشارع ليجد أصدقاءه بانتظاره؛ فقد قـــرروا أن يقومـــوا بتوصيله إلى محطة الحافلات.

عند محطة الحافلات قام بتوديع أصدقائه جميعًا، وهو يعرف يقينًا أنها آخر مرة سيراهم فيها، وفي النهاية اتَّخـــذ مقعـــده في الحافلة، وبدأت الحافلة مسارها إلى المدينة التي اختار أن يقضي بها آخر أيامه.

أثناء اتخاذ الحافلة مسارها إلى الإسكندرية امتلأ عقل جمعة بأفكار سوداوية لانهائية، هل هكذا ذهبت حياته منه بسبب مرض ملعون لا علاج له، ولماذا هو بالذات من وسط كل الشباب ، ثم يعود مرة أخرى إلى خطته التي لم يكن أمامه سواها.. العوالم الافتراضية، صحيح أنه لا يمتلك لا المال ولا الوقت الكافي، لكنه يستطيع أن يخلق بعقله حياوات كثير - بالتأكيد - لم يكن مقدرًا له أن يعيشها.

هكذا كان يفكر جمعة طوال الرحلة إلى الإسكندرية وعندما وصلت الحافلة إلى المدينة كانت قد وصلت في بداية النهار؛ فقام بركوب الميكروباص، أو كما يطلقون عليه في الإسكندرية المشروع، مر المشروع من أمام البحر، وكان يومًا ما في بدايات الشتاء في الإسكندرية؛ لذا فقد كان المنظر أمامه خلاب، ويثير الكثير من بنات الأفكار، لم يكن هناك أي نوع من أنواع الزحام؛ لذا فقد وصل إلى مكانه المنشود بسرعة معقولة.

وصل إلى مدخل العمارة، ووجد البوابة مغلقة، قام بفتحها فوجد أمامه رجل من أهالي صعيد مصر، قرر أن يترك بلده لكي يحترف مهنة البَوَابة، كان نائمًا على منضدة متسخة؛ فقرر جمعة إيقاظه لكي يخبره بأنه الوافد الجديد إلى شقة عائلة خليل.

جمعة: سلامو عليكم.

البواب: هه.. مين هنا؟

جمعة: أنا جمعة، من طرف الحاج أبو خليل، جاي أقعد في شقتهم حبة.

البواب: الحاج أبو خليل بيه بتاع القاهرة؟

جمعة: أيوه بالظبط.

البواب: طيب وإنت عايز مني إيه؟ فيه شنط أطلّعها ولّا حاجة؟

جمعة: لأ أنا قلت أديك خبر عشان بعد كده لما تشوفني.

البواب: يا بيه اتفضل، المطرح مطرحك، محسوبك خليفة، أي حاجة تعوزها أي وَخْت نادي عليّا، ولو عايز عيش حولّي جبليها بالليل.. ماشي يا بيه.

جمعة: ماشي يا خليفة.

صعد جمعة إلى المترل ودخل، فوجد بعض الأتربة الخفيفة، قام بتنظيف بعضها، وقام بتوضيب ملابسه وأغراضه في غرفة ما، ثم فتح باب الشرفة، وجلس فترة يتأمل منظر البحر، وهو يأخذ إفطاره المجهَّز مسبقًا في القاهرة، وبعدها دخل لينال قسطًا من الراحة.

(١٠)

وجد جمعة نفسه يسبح في بحر واسع ممتد إلى الأبد، ولكن هذا لم يُثر قلقه؛ فقد كان غير مطمئن للشمس التي كانت تشرق وتغرب من نفس المكان في سرعة غريبة تجعل اليوم ينتهي في أقل من نصف ساعة، ولكن الأغرب أن الشمس عندما كانت تغرب كانت تتجزَّأ إلى عشرات الأجزاء، وتظل سابحة على مياه البحر لفترة وهي متوهِّجة بضوء يشبه ضوء النجوم، وعند الشروق كانت تلك الأجزاء تتجمَّع مرة أخرى لتكوِّن الشمس من جديد، لم يكن ذلك يقلقه إلا لسبب واحد، أن تلك الأجزاء كانت تسقط في المياه في مناطق عشوائية، وربما في مرة ما تسقط على رأسه لتحوله إلى قطعة من الفحم الطافي.

ولكنه أيضًا لاحظ أن هناك الكثير من اللآلئ الطافية أيضًا؛ فلم يُضِع وقته كثيرًا، وبدأ في تجميعها، وكان كلما وجد لؤلؤة كان يجد بجانبها العشرات منها؛ فكان يجمعها بسرعة وسعادة، وظل يجمع تلك اللآلئ، ونسي أمر الشمس الغاربة المتجَزِّئة، وأثناء تجميعه لبعض اللآلئ العملاقة وجد أن الضوء أصبح ساطعًا أكثر من اللازم؛ فنظر فوقه ليجد قطعة ضخمة من

الشمس ساقطة على رأسه، عندئذ نسي أمر اللآلئ العملاقــة، وحاول السباحة بعيدًا، ولكن هيهات.. لقد فات أوان الهرب، فما زالت القطعة الشمسية تتجه نحوه، ولكنه لم يكن يشعر بأي ارتفاع في الحرارة، لقد كان يشعر بانخفاضها وبسرعة كــبيرة للغاية، شعر ببروده تقتحم جسده وتمنعه من مواصلة الهـــرب، وعندما نظر مرة أخرى إلى الأعلى كانت القطعـــة الشمـــسية تستعد لتهشيم رأسه.. عندها استيقظ من نومه ليجد أنه نـــسي إغلاق النافذة، وأن الهواء البحري يختـــرق الغرفـــة ويُفقـــدها درجات حرارتها، كطالب يفقد درجاته العلمية بعـــد أن درس اللغة الصينية ولكنه فوجئ في يوم الامتحان بأنه سوف يمـــتحن في اللغة الروسية.

قام جمعة بإغلاق النافذة، وقام بتغيير ملابـــسه، ونـــزل إلى الشارع لكي يقوم بشراء بعض الأطعمة والمستلزمات.

عندما نزل للشوارع وجد أن تلك المدينة خلّابـــة فعلًـــا في الشتاء؛ فهي تشبه كثيرًا المدن الأوربية التي يراها في التلفاز بـــل تكاد تحاكي عواصم أوروبا جمالاً و تحضراً لولا العـــاده الـــتي يصر عليها كل محافظ يتولى حكم الأســـكندريه مـــن تـــدمير رصفاها و طرقاها و تمسّك الفتايات بحجب جمـــالهن بقطـــع

الأقمشه الدخيله على المدينه .. فتلك المدينه معجونه بالتاريخ و كانت يوماً رمز الحضاره و الحريه في الكون كله، أما الآن فقد سيطرت عليها الأفكار الدينيه المتزمته بطريقه مقيته. وبالرغم من أنها ثاني أهم مدن المحروسة، إلا أنها لم تكن تتسم بذلك الزحام الخانق الذي تتسم به القاهرة، (فقط تزدحم في الصيف عندما يملؤها المصيِّفين من جميع أنحاء البلاد)، أضف إلى ذلك أن الهواء غير ملوث للدرجة التي تراها هناك؛ لذا فقد اتجه لشراء احتياجاته بسهولة ويسر، وقرر قضاء بعض الوقت في مقهى ما، وبعدها عاد إلى المترل، وبعد تفريغ الطعام بداخل الثلاجة ومشاهدة سريعة للتلفاز، اتجه مرة أخرى للنوم؛ لكي يجهِّز عقله لأول عالم افتراضي سوف يعيش فيه في صباح الغد.

نام جمعة، واستيقظ، وأعدَّ لنفسه الإفطار، وأعدَّ كوبًا جيدًا من الشاي، وأحضر مقعدًا وثيرًا وجلس به في الشرفة، وبدأ في تكوين عُمُد عالمه الافتراضي الأول.

(١١)

هو يريد أن يكون غنيًّا، وأن يعيش حياة الأغنياء.. حسنًا؛ فليكن.. وهكذا قرر أن يكون عالمه الافتراضي الأول.

في يوم من الأيام.. أثناء عودته المعتادة إلى منزله من الجامعة وهو يفكر في الأشياء المملة التي يقوم بفعلها بطريقة شبه يومية، حدث شيء غيَّر مجرى حياته إلى الأبد.

فقد توقَّفت بجانبه سيارة ذات طراز فخم، وخرج منها رجل يرتدي بِذْلة أنيقة، وحدثه قائلًا: إزيَّك يا جمعة؟

جمعة: أنا؟

الرجل: أيوه إنت يا جمعة..

جمعة: الحمد لله.. إنت تعرفني منين؟

الرجل: الحكاية كبيرة، تعالَ معايا وأنا هاحكيلك

جمعة: آجي معاك فين؟ إنت مين؟

الرجل: أنا محامي، وعندي ليك أخبار مهمة جدًّا لازم تعرفها، وماتخافش، مش هاسرقك أو أأذيك.

جمعة: محامي ليه؟ هو أنا عملت حاجة غلط؟

الرجل: ما تخافش، إنت ماعملتش حاجة، أنا عندي ليـــك أخبار مهمة جدًّا، إسمعني وادخل العربية.

جمعة: هانروح على فين؟

الرجل: مكتبي، وهناك هاتعرف كل حاجة.

حسنًا.. قرر في النهاية أن يركب مع المحـــامي، وهنـــاك في مكتبه بدأ يعرف أصل الأحداث، أو بالأدق بداية حياته.

في يوم من أيام الصيف، في مدينة شـــرم الـــشيخ، كانـــت إبيجيل تقضي فترة إجازة قصيرة مع أفراد عائلتها، وأيضًا كان راماروف يقضي فترة إجازته هناك.

بعد بعض الأحداث تقابل كل منها، وحدثت بينهما علاقة حميمة، وبعد ذلك تفرَّقا وعاد كل منـــهما إلى بلـــده؛ حيـــث عادت إبيجيل إلى إيطاليا، وعاد راماروف إلى الاتحاد السوفيتي.

بعد فترة شعرت إبيجيل بأنها حبلى، وكانت عائدة إلى مصر من لإنهاء بعض الأعمال المالية المتعلقـــة بالعائلـــة، فاتـــصلت براماروف وأخبرته هاتفيًّا؛ فأخبرها بأنه قادم إليها.

تشاجرا قليلًا، ولكنهما اتفقا في النهاية على ألَّا يربيا ذلـــك الطفل، وأن يقوما بإعطائه إلى إحدى العائلات لتربيته مقابـــل

مبلغ مادي جيد كل فترة زمنية.. بحثا عن عائلة فوجدا عائلة لم تنجب بعد، وتواجهها عواصف مالية لا حصر لها، وكان رب تلك العائلة شخص يدعى ميسور، عندما قابلاه اتفقا على أن يقوم ميسور وزوجته بتربية طفلهما مقابل مبالغ مالية جيدة للغاية تستطيع أن تذهب بعواصفهما المالية إلى عوالم الجن والأشباح بلا رجعة.

حسنًا.. لقد كان راماروف مليونيرًا سوفيتيًّا، ورث ثروة والده غير المنتهية؛ لذلك كانت الأموال مشكلة بسيطة في تلك الحالة، بالإضافة إلى أن إيبحيل كانت من عائلة غنية تملك عددًا من المطاعم في عدد من دول العالم.

هكذا تم ترتيب الأمور بأن تحصل العائلة على الطفل وعلى الأموال، ولهما كامل الحرية في تربيته، بينما اتفق إيبحيل وراماروف على أن يقوما بنسيان ذلك الطفل بشكل مؤقت، وأن يطمئنَّا عليه من فترة لأخرى.

ولكن بمرور الوقت تم نسيان ذلك الطفل من جانب الوالدين الأصليين، وأصبحت الأموال تأتي على فترات غير منتظمة إلى أن أتى ذلك اليوم.

(حسنًا جمعة.. لك أن تعرف أن ذلك الطفل هو أنت، وأنك ابن ملياردير روسي وإيطالية مالكة لسلسلة مطاعم.. وأن

والدتك قامت بإرسال إليك تلك الرسالة طالبة فيها مقابلتك، بأن تأتي إليها في بلدهما في إيطاليا مع شيك به مبلغ مالي محترم للغاية، وهذا شرف لي أن أقوم بتقديم تلك الرسالة والأموال إليك يا جمعة).

هكذا أخبره المحامي...

كانت مفاجأة ضخمة صدمت رأس جمعة عندما عرف بكل هذا، وعندما نظر إلى الرقم المودع بحسابه كاد أن يفقد صوابه؛ فقد كان الشيك يحمل رقمًا يقارب النصف مليون دولار.

اتفق مع المحامي على أن يقوم بإنهاء إجراءات سفره التي أخبره المحامي أنها سوف تنتهي قرابة الأسبوع، وأنه يستطيع السفر في الأسبوع الذي يليه، هكذا قرر جمعة أن يعيش في مصر أسبوعين من الحياة الرغيدة إلى أن يسافر إلى والدته.

بعد أن أجرى حديثًا مع عائلته المصرية؛ ليخبرهم بما حدث، أخبره ميسور بالحقيقه، وبأنه فخور بتربيته وادعى جمعة بأنه فخور بأن يكون فردًا من تلك العائلة الفريدة، وبعدها أخبرهم بأنه سوف يسافر ويعود إليهم من جديد، فقط عليهم ألا يقلقوا، ووعد أخاه وأخته بأنه سوف يعمل على تحقيق مستقبل أفضل لهما عن طريق تأمين مبالغ مادية جيدة لهما.

هو الآن يريد مكانًا للمكوث به قبل سفره، وفي نفس الوقت يريد أن يكون فخمًا أنيقًا يستمتع بوقته فيه.

قام بتأجير جناح فخم بفندق أنيق لكي يقضي به تلك الفترة في مصر.

وبدأ بعدها يفكر فيما يريده الآن، هو يريد أن يمتلك سيارة فارهة، وملابس فاخرة، وأن يأكل من المطاعم التي لطالما أراد أن يتذوق طعامها؛ فقد ضاق ذرعًا من حبات الفول الملعونة، ويريد أن يفعل كل ذلك مع أصدقائه.

عندما أخبر صدقاءه من هاتفه الفاخر بأخبار عائلته الجديدة، يمكنك القول إنهم فقدوا صوابهم كليًا تقريبًا، فأخيرًا نجح واحد منهم في أن يحقق شيئًا ما، حتى وإن لم يقم ببذل جهد لتحقيقه، واتفقوا بعدها على أن يتقابلوا عنده في ذلك الفندق.

هو لم يخبر أصدقاءه مباشرة، هو قبل ذلك قرر شراء بعض المقتنيات أولًا، فذهب لشراء مجموعة من الملابس من تلك المحلاتّ ذات العلامات التجارية التي ترتعش من اسمها جيوب طبقات الشعب الوسطى، ويا له من شعور وهو يقوم بشراء كل ما يريد، ويحظى بكل هذا الاحترام من أصحاب تلك المحال، حتى إن بعضًا من مدراء تلك المحال قام بتعبئه مشترياته شخصيًا.

بعدها حان الوقت لشراء كتلة المعدن ذات الأربع عجلات المطاطية صحيح أنه لم يكن يمتلك رخصة للقيادة، ولكن من يأبه لهذا الهراء في حالة شخص غني مثله، بالتأكيد رجال الشرطة والقانون لن يجرءوا على أن يثيروا سخطه بسبب هذا الهراء، عندما قرر الشراء ذهب إلى تلك النوعية من السيارات التي تثير حماس الشباب بمجرد رؤيتها، الممهوره علامتها باللونين الأزرق والأبيض، وبعد شرائها وأثناء عودته للفندق أخذ يتأمل وجوه الناس عندما يعبر بجانبهم، كانوا يلتفتون إليها، وينظرون لها بعيون حالمة لفترة وجيزة، وبعدها يعودون إلى حياهم اليومية بعد أن يصبوا لعناهم على الوغد الذي بداخل السيارة.

عندما جاء إليه أصدقاؤه أرادوا أن يتأكدوا أن هذه ليست مزحة سخيفة، ولكنهم جميعًا تأكدوا من حقيقة ذلك.

بعدها دعاهم إلى العشاء في مطعم فاخر، كان بعضهم يدخل هذه الأماكن لأول مرة في حياته؛ ليروا صفوة المجتمع، والمُتَنَمِّقين الذين يدَّعون الغناء، وبعض الشباب الذين يدَّعون أهم من عائلات فاحشة الثراء، ولكن الحقيقة هي أهم يمتلكون فقط أموال الطعام، وحتى بدون إكراميه النادل، وإن تجاوزت الوجبة ما معهم من مال فهم في ورطة حقيقية، وبعد العشاء قاموا بقضاء الوقت في صالة ألعاب إلكترونية، وبعدها أنهوا السهرة في ملهى ليلي فاخر.

ظلت حياته على هذا المنهاج إلى أن أتى يوم السفر، وقبـــل أن يسافر أعطى السيارة لأخيه إبراهيم، والذي لم يكن ليصدق أنه في يوم من الأيام سيمتلك سيارة مثل هذه، وودع أصدقاءه جميعًا مع وعود بالعوده قريبًا.

بعد أن انتهت رحلته الجوية التي كانت أكثر من رائعة، قرر التوجه مباشرة إلى والدته إيبحيل، كانت تلك المدينة الإيطاليـــة ساحرة، خاصة وأنها أول زيارة له، هو الذي لم يزر بلدًا أوربية من قبل، المهم الآن أنه استطاع أن يصل إلى باب المترل الـــذي بالعنوان الذي معه.

كادت أمه أن تطير فرحًا عندما رأته وتعرفت عليه، ظلـــت تحتضنه وتقبله، وتخبره كم هو وسيم، هكذا كان اللقاء.

أثناء فترة مكوثه مع والدته عرف الكثير عن عائلته الحقيقية، وظل يستمع إلى الكثير من الاعتذارات من والدته بسبب مـــا قررته عندما كانت شابة.

قضى ما يقارب الشهر والنصف في إيطاليا، وتعرّف علـــى الكثير من الأشخاص، سواء من العائلة، أو في مطاعم والدتـــه، أو حتى الأصدقاء الذين تعرَّف عليهم في مباريات الكرة الـــتي كان يشترك بها، وفي الملاهي الليلية التي كان يسهر بها.

قضى جمعة وقتًا جيدًا للغاية هناك، و لم يكن يريد أن ينتقل لأي مكان آخر، ولكن إيجيل اتصلت براماروف لتخبره بشأن جمعة، فطلب منها أن يأتي إليه في روسيا لأسباب لا يمكنها الانتظار.

فوجئ جمعة في بادئ الأمر، لماذا يطلبه والده الذي نسيه كل هذه السنين، وعندما سمع بوجوده طلب رؤيته مباشرة، أقنعته والدته بأن عليه أن يزور والده ليعرف منه ما الذي يريده، وبالفعل قام بزيارة روسيا.

كان كل ما شعر به بعد نزوله من الطائرة هو الصقيع، والصقيع فقط.. كان ينتظره سائق خاص، أخذه وذهب به إلى والده، وعندما وصل قام شخص ما بأخذ عينة منه لإجراء مجموعة من تحاليل المادة الوراثية.

عندما رأى والده أول مرة انفطر قلبه من أجله؛ فقد كان والده أسير الفراش، موصَّل بعشرات الأنابيب والأسلاك الكهربية المتصلة بالعديد من الشاشات، الأمر لا يتطلب الكثير من التفكير لتعرف أنه على وشك الانتقال إلى الحياة الأخرى.

كان حديث والده له يتخلص في ثلاثة محاور بسيطة، أولًا.. أنه سعيد للغاية برؤيته، ثانيًا.. أنه لا يستطيع أن يعبر عن

اعتذاره له بسبب تخلّيه عنه عندما كان طفلًا، وثالثًا.. أنه سوف يقوم بتوريثه كل ثروته وكل شركاته التي يمتلكها.

هو الآن لا يعرف إن كان عليه أن يفرح أم يحزن بعد أن مر على وفاة والده ثلاثة أيام بعد زيارة دامت أسبوعين.

أثناء جلوسه في قصر والده زاره مجموعة من الأشخاص الذين يبدو عليهم أنهم من الصفوة، حدَّثوه كثيرًا عن مدى ضخامة الثروة التي تركها له والده، وعن حجم المسئوليات التي تنتظره، ولكنه قال إنه لا يريد إدارة أيٍّ من شركات والده، وطلب من نائب والده أن يقوم بتولّي مسئولياته، وأن تبقى أرباحه كما هي.

هكذا أصبح في أقل من ثلاثة شهور مليارديرًا لا يعرف بالضبط كم من مليارات الدولارات يمتلك، بعد أن كان لا يمتلك ثمن نصف وجبه غداء لا تكفي ولا تسمن من جوع، قام بإرسال أموال إلى عائلته، وانهال على أصدقائه في مصر بالعطايا، وقاموا بزيارته بضع مرات.

ولكن ظهرت أول مشكلة بسبب الأموال منذ لحظة ظهوره في روسيا؛ فلم يكن لراماروف أبناء غيره، ولكنه كان متزوجًا من بريدجيت، والتي حضرت نفسها لترث كل تلك الثروة،

ولكن ظهوره دمَّر ذلك المبتغى، فقط حصلت على بضع من الملايين، وهي بالطبع لم تكن لترضى بذلك، حذره بعض الأشخاص الذين كانوا يقدّرون والده منها، ولكنه لم يكترث كثيرًا، شعر بالقلق لفترة قصيرة، وبعدها نسي أمرها تمامًا.

مرت شهور وهو يعيش الحياة الرغيدة، قام بقيادة معظم أنواع السيارات الفخمة التي تم إنتاجها إن لم يكن كلها، وأصبح يمتلك أسطولًا من السيارات؛ حتى إنه صُنعت مجموعة من السيارات النادرة خصيصًا من أجله، وكان يمتلك عددًا من الطائرات الخاصة التي جعلت العالم بالنسبة له مجرد مدينة يسهل التنقل خلالها.

حتى إنه اشترى جزيرة خاصة به في الكاريبي، وقابل الكثير من مشاهير العالم في بلاد العم سام، وأصبح تدريجيًّا حديث الكثير من الصحف، لقد أصبحت الأموال لا تعني له شيئًا؛ فقد قام بفعل كل شيء يريده في حياته، وأصبح يشعر بالملل لفترات غير منتهية، وكان كل أصدقائه الجدد مجرد مستغلّين لأمواله، شعر بالاكتئاب لفترات طويلة؛ حتى إنه قام بزيارة طبيب نفسي بضع مرات، هكذا أصبحت حياته مكونة من ترف وملل.

وفي يوم ما، بعد أن قضى الليل في أحد الملاهي الليلية الفاخرة، وأثناء عودته إلى قصره مع فتاة لا يكاد يعرفها، وأثناء

قيادته للسيارة الفارهة، ومع سرعته العاليه سمع صوتًا إلكترونيًا تحدَّث فجأة من سماعات السيارة يقول: (فلتشتعل في السعير).. لقد كان صوت بريدجيت، ولكن هذا لايهم الآن، فبعد أن سمع تلك الجملة بثانيتين انفجرت السيارة بطريقة تؤكِّد أن أيًا كانت نوعية الحياة التي كانت بداخِلها - سواء كانت آدمية أو حتى بكتيرية - فقد انتهت، وماتت، وولَّت بلا عودة؛ فقد انفجر جسد جمعة وتلك الفتاة التي لا يكاد يعرفها، وتناثرت أشلائهما في دائرة قطرها يقترب من المئتي متر حول مركز الانفجار، فقد امتجزت الأشلاء بقطع معادن السيارة.

الشئ الوحيد الذي تم التعرف عليه ومن خلاله تم التعرُّف على جثة جمعة وليس على الفتاة هو العلامة الممهورة بها السيارة؛ فقد كانت واحدة من ضمن عشر سيارات في العالم تم تصنيعها خصيصًا لأشخاص بعينهم.

هكذا تم إغلاق كتاب حياة جمعة بقنبلة قوية لعينة، حزنت عائلته المصرية وأصدقاؤه وعائلته الإيطالية، وتم تشييع جنازة مهيبة له، حيث وُضع في التابوت الأشلاء التي تم تجمعيها منه ومن الفتاة، وبعدها حصل الجميع على أجزاء من الميراث، ما عدا بريدجيت التي حصلت على نصيب الأسد منها.

بعد أن أنهى جمعة ذلك العالم الافتراضي، كان يشعر بداخله بأنه بالفعل قد امتلك تلك الأموال، وبأنه قام بتلك الأشـــياء، ولكنه مل من ذلك العالم الممتلئ بـــالأموال، فـــشعر بـــسعاده مؤقتة؛ لأنه ليس بذلك الثراء الفاحش، ولكن هذا لا يعـــني أن الأموال ليست ضرورية لشراء السعادة، ولكن كثرتهـــا تـــضيع قيمة حياة الشخص.

قام جمعة بتكوين ذلك العالم الافتراضي في يومين، بينـــهما فترات للنوم، وتناول الطعام، والراحة؛ لذلك هو الآن ســـوف يتجه للنوم، لأن الوقت قد تأخر حقًا.

(١٢)

في صباح اليوم التالي، وبعد أن أفطر، نزل يتمشّى قليلًا على كورنيش شاطئ البحر، وظل يفكر في ذلك العالم الذي بناه، وفي بعض التفاصيل الصغيرة به، جلس في أحد المقاهي لفترة، ثم عاد إلى المترل ليأكل وليشاهد التلفاز لفترة، وبعدها اتجه للفراش؛ فغدًا سوف يكون بداية عالم افتراضي جديد.

بدأ اليوم التالي بجو شتائي، وبعض العواصف الهوائية غير الخطرة، ولكنه بعد أن أفطر جلس بداخل الشقة أمام الشرفة وفتحها على مصراعيها، ومع كوب شاي ساخن بدأ يفكر، وأمامه الغيوم تملأ السماء.

لقد أراد في يوم ما أن يكون قائدًا لتلك البلاد، وأن يكون جزءًا أساسيًّا من تاريخها، وأفضل شيء لتحقيق هذا هو أن يكون رئيسًا لتلك البلاد ... حسنًا.. فليكن.

عندما أصبح في السابعة والأربعين من عمره، كان قد حقق الكثير والكثير من الإنجازات السياسية، فبعد أن أنهى دراسته الجامعية، وبعد حصوله على درجة الماجستير، دخل مباشرة إلى العالم السياسي، فنجح في تكوين حزب سياسي قوي التف

حوله الكثير من أفراد الشعب؛ لأن ذلك الحزب - فعلًا - حاول أن يغير من شئون البلاد للأفضل، و بعد الكثير والكثير من المشادَّات بينه وبين الرموز الحاكمة؛ لرفضه للكثير مما يحدث، حتى إنه في وقت من الأوقات كاد أن يُعتقل، ولكنه استطاع أن يخرج من ذلك المأزق بأعجوبة، واستطاع أن يرشح نفسه للرئاسة في ذلك العمر، ويمكن القول إن الانتخابات كانت شرعية، وليست مفصَّلة للبعض كما يحدث دائمًا، لذلك فقد استطاع بالفوز على عدد من المرشحين، وفي ذلك اليوم عاش معظم الشعب أوقاتًا سعيدة، نظرًا للوعود السامية التي وعدهم بها، والتي تهدف جميعها إلى حياة أفضل، ومكانة أسمى بين دول العالم، تعيد اعتداد الشعب بنفسه مرة أخرى.

ومنذ أول يوم له في الرئاسة، بدأ العمل في تحقيق وعوده، مع وزاراته التي اختارها بعناية، والتي كان من ضمنها وزارة تعمل لمحاربة الفساد الوزاري؛ لتمنع الكثير والكثير من أخطاء من سبقوه.

كانت خططه بسيطة، فهو يسعى للاكتفاء الذاتي، والاعتماد على النفس في الحصول على الموارد الغذائية الأساسية، والاهتمام بالعلم، وإعطاء العلماء كل ما يحتاجونه من أموال وموارد لكي يصنعوا لتلك الدولة مكانة علمية يحترمها الجميع،

وتحديد أنواع الصناعات الأساسية التي تحتاجها البلاد، وبناء المصانع الضخمة ذات الإنتاج الراقي والمحكم، وبعدها التوجه إلى الصناعات الترفيهية، ورفع المستوى العلمي للدراسة في جميع الفترات العمرية للطلاب، مع تحقيق مبدأ التنفيذ العملي لما يتم دراسته، وإلغاء كل ما هو رديء المقررات العلمية، أيضًا - القيام بمحو ذلك الإعلام الموجَّه الذي دمر عقول الملايين سابقًا، ولم يجعلها تفكر إلا في الترَّهات، مع تحقيق الأحكام القانونية على كل من أخطأ، ولا يهم من أخطأ، سواء كان ثريًّا وذا نفوذ أو فقير ولا يمتلك قوت يومه، وتحقيق حياة اجتماعية إنسانية تسمح للجميع بعيش حياة راقية، مع الحفاظ على سياسة دولية معتدلة، وإنشاء علاقات معتدلة مع كل الدول.

بدأ في تنفيذ كل هذا في وقت واحد، ولكنه أعطى كل هدف حقه في التنفيذ؛ فهو يعرف أن تحقيق هذا صعب للغاية، ولكنه ليس بمستحيل.

ففي مجال الموارد الغذائية شجع الفلاحين على الزراعة، وقام بزيادة مساحة الرقعة المزروعة، مع القيام بخطوة تاريخية؛ هي إنشاء تعاون زراعي بين دولته وبين السودان، فقد اتفقت الدولتين على أن تقوم السودان بتوفير الأراضي الزراعية الخصبة ذات المساحات الشاسعة، مع توفير جزء من الأيدي العاملة بشرط توفير أنواع المحصولات الزراعية الأساسية، مثل القمح

والحبوب، ومع توافد المهندسين الزراعيين إلى هناك، ومع تخطيط الأراضي، وتنسيق الخطط المختلفة، بجانب أنواع الخضروات والفواكه، استطاعت الدولتان في عامين ونصف أن تحققا شبه اكتفاء ذاتي للموارد الغذائية، وبهذا توقفت الدولتان عن الاحتياج إلى المساعدات الدولية، وقد كان الجميع يشعر بالفخر لتحقيق هذا الإنجاز الضخم.

أما في مجال الاهتمام بالعلم والعلماء، فقد تم إنشاء عدد جيد من مراكز الأبحاث العلمية المتاحة لكل من يمتلك أفكارًا علمية، ولديه استعداد لأن يقوم بتنفيذ تلك الأفكار، مع إعطاء الأفكار الناجحة التمويل الكافي ليتم تحقيق الاختراعات، وبالفعل بدأ أصحاب الأفكار العلمية الذين كانوا يأملون في شيء كهذا ليحققوا آمالهم الضائعة.

صحيح أنه كان هناك العديد من الأفكار الطائشة التي لم تكن لتحقق أي شيء، ولكن لقد كان هناك العديد من الاختراعات والاكتشافات المذهلة التي حظيت بمباركة تلك المراكز وتمويلها إلى أن تم الانتهاء منها، ومع مرور الوقت ازداد تطوير تلك المراكز، إلى أن أصبحت تستقطب المزيد من العقول المستنيرة من الدول المجاورة، وبعد مرور ما يقرب من أربع سنوات، حصد مشروعان علميان جائزة نوبل في خلال تلك الفترة، وبذلك انتقلت تلك المراكز العلمية إلى العالمية، وأصبح الجميع يهتم لأبحاثها ونتائجها، وقد تم التعاون بين عدد من

تلك المراكز وبين مراكز عالمية في الدول المتقدمة، ولقد حدثت تلك النتائج المبهرة نتيجة الاهتمام الجدّي بتلك الأماكن، وعدم الاستخفاف بعقول العلماء، مع إعطائهم الفرصة الكاملة لتنفيذ اختراعاتهم.

في مجال الصناعة كان هناك احتياج إلى رؤوس أموال ضخمة، لذا تم تخصيص نصيب الأسد من ميزانية الدولة لبناء تلك المصانع التي تم التخطيط لها مسبقًا من حيث النوعية والهدف من الإنتاج، وقد تم استقطاب العديد من المستثمرين ذوي الخبرات ليساعدوا في إنشاء تلك المصانع العملاقة، لكنها كانت خطة طويلة الأمد، ويمكن القول أن حوالي ٨٠ في المائة من تلك المصانع بدأت الإنتاج بعد مرور خمس سنوات، ولكن تلك المصانع – إلى جانب المصانع القديمة – دفعت البلاد إلى طفرة صناعية جيدة، فقد كان الإنتاج يغطي الحاجة، وسمحت جودته بالتوريد لعدد من الدول، وبعد أن كانت ميزانية الدولة في خطر، عادت إلى الحياة، وبدأت تنتعش مرة أخرى.

صحيح أن تلك المصانع لم تكن تقوم بإنتاج التكنولوجيا الإلكترونية المتقدمة، ولكن لقد كانت هناك خطط لبناء تلك المصانع في فترات مقبلة.

في مجالات التعليم، تم تطوير التعليم كليًّا، ولكن تلك المرة تم تطويره بعقول واعية ذات خبرات حقيقية في مجالات التعليم،

وتم اتخاذ قرارات حاسمة في بعض الأمور الطائشة السابقة، وتم الاهتمام بتطوير المناهج العلمية لتساير التطور العلمي المحيط بالجميع، مع إعطاء أولوية مطلقة للتطبيق العملي لما يتم دراسته في كل الفترات الدراسية.

جاء التطور ليشمل كل المراحل في فترة واحدة، فمع التخطيط الجيد والدراسة لكل صغيرة وكبيرة تم تحقيق ذلك الهدف الذي سوف تظهر ثماره عندما يتخرج جيل من الشباب الذي حظي بتعليم جيد، يستطيع من خلاله أن يكون كل منهم فردًا ذا تأثير إيجابي في المجتمع، خاصة إذا استطاع أن يطبق ما درسه في حياته العملية، بل ويزيد من جودة مجال عمله.. هكذا تطلّع الرئيس إلى التعليم، وهذا تقريبًا ما حدث.

وفي مجال الإعلام تم القضاء على نظم الإعلام السابقة التي كانت تهدف لتعتيم الحقيقة وإفساد العقول وملئها بما لايهم ولا يفيد، فأصبح الجميع يرى الحقيقة، والحقيقة فقط، مع ترك أصوات المعارضة تصل إلى الشعب ليفهم الشعب ما يحدث حوله من جيد وسيء.

أما بالنسبه للعدالة، فلم يكن هناك ذلك الفساد الذي دائمًا ما كان يتيح للأوغاد الأغنياء أ، يكسروا القوانين وقتما شاؤوا، دون أن يحاسبهم أحد، فتم تغيير عدد من القوانين التي تلزم

لتحقيق العدالة على أي شخص مهما بلغ نفوذه وسلطته؛ حتى ولو كان الرئيس نفسه.

حافظ جمعة على السياسة الخارجية المعتدلة، فهو لم يكن يرغب في تكوين عداءات مع أحد أثناء فترة بنائه للبلاد، صحيح أنه في بعض الأوقات كان تحت ضغط دولي يحاول إرجاعه عن بعض القرارات، لكنه دائمًا كان يقوم باتخاذ قرارات دبلوماسية تجنِّبه المشاكل الدولية، وتجعله يحقق ما يريده؛ حتى ولو بطريقة ملتوية، فهو دائمًا كان يسعى ليجعل الجميع مؤيدًا له.

وأخيرًا اهتم الحياة الاجتماعية الإنسانية العادلة التي تحققت بمفردها، فبعد أن توفَّرت فرص عمل للجميع، واتيحت الفرصة للكل لرفع شأن البلاد، ومع صبر الجميع، بدأ الجميع في حصد الثمار؛ فقد ارتفعت المستحقَّات المالية للجميع، وأصبح هناك احترام متبادل بين الجميع، وقد ارتفعت قيمة العملة الوطنية، بعدما كانت متجهة إلى السعير بطائرة فانتوم، حتى تخطيط المدن أصبح يختلف كثيرًا عما سبق، فقد أصبحت أكثر نظافة وأكثر تطورًا، صحيح أن هناك عدد من الجرائم التي تحدث من حين للآخر، ولكنها أقل بكثير عما كانت سابقًا، وكانت هناك بعض المشاكل الداخلية، ولكنها في النهاية كانت تُحل وتمر...

يمكن القول إن الرئيس جمعة قد استطاع بناء دولته الفاضلة التي طالما حلم ببنائها الجميع.

عندما حانت فترة الانتخابات الرئاسية اســتطاع جمعــة أن يحظى بفترة رئاسية جديدة، بعد أن انتصر فيها على المرشــحين الآخرين بسهولة ويسر، بفضل التأييد الشعبي له.

قام في الفترة الثانية باستكمال المنهج الذي اتبعه في فترتــه الأولى، وكان يتحدث للشعب من فترة لأخرى، ويهنئ كل من يقوم بإنجاز ما يدفع البلاد إلى المزيد من التقدم.

حسنًا.. كما تقول الأمثال الشعبية: (الحلو ما يِكْمَلْــش).. كانت هناك قوى خارجية لم يعجبها حال البلاد، فقد أصبحت البلاد أكثر تطورًا صناعيًّا وعلميًّا، ولديها اكتفاء غــذائي ذاتي، وإن استمر الحال هكذا قد تسحب بساط القيادة مــن تحــت أقدامهم في يوم من الأيام؛ لذا كان يجب اتخاذ خطوة حاسمــة لإنهاء كل هذا.

مجموعة من الاتهامات الدولية التي تدين بــامتلاك وتــصنيع أسلحه دمار شامل، وتكوين جو إعلامي يقوم ببناء الطاقــات السلبية حول البلاد، وتقديم بعض الأدلة الزائفة، ومع نفي البلاد لتالك الأدلة الوهمية، ومع عدد من الأحداث المتتابعة، تعلن عدد من القوى العالمية الحرب على البلاد، وقد كان...

عندما قامت تلك الدول بالهجوم وإنزال القوات على أرض الوطن، لم تكن تعلم أنه كان هناك مخطط سري للغاية، قام بـه الرئيس وعدد من القيادات الموثوق بهم، بتصنيع الأسلحه الثقيلة والخفيفة بداخل بعض المصانع ذات الوجهة الصناعية المختلفة، صحيح أنها خطة قديمة، وتم تنفيذها مسبقًا، ولكنها ما زالـت فعَّالة..

هجوم عنيف على البلاد من مناطق مختلفة، ولكن معهـا رد أعنف غير متوقع من القوات الوطنية، أذاق القـوات المعتديـة الهزيمة والانسحاب.

بالرغم من قصف البلاد بالمتفجرات من الطـائرات الـتي كانت تقلع من قواعدها من الدول المجاورة؛ إلا أن فرق رجال القوات الخاصة قامت بالعديد من العمليات الخارجية، انتـهت بتفجير عدد جيد من تلك القواعد.

حتى القوات البحرية تم تدمير معظمها بعدد من التقنيـات الحديثة والبسيطة من قبل رجال البحرية.

استمرت المعارك البرية والبحرية والجوية إلى ما يقرب مـن الخمسة أشهر، لم تستطع من خلالها القوى المعتدية من تحقيـق هدفها.

لقد وضعت البلاد تلك الدول العظمى في مأزق حقيقـــي؛ فهم لم يتذوقوا طعم الهزيمة من قبل، أو على الأقل منـــذ فتـــرة طويلة؛ لذلك فقد قاموا باللجوء إلى ألعابهم النوويـــة، وقـــاموا بإلقاء قنبلة نووية على مدينة صغيرة جديـــدة وســـط منطقـــة صحراوية بالبلاد - بالرغم من االرفض الدولي لهذا الفعل، مـــع التهديد بإلقاء أخرى وأخرى إذا لم تستلم البلاد.

بعد إلقاء القنبلة بيومين، ظهر جمعة في التلفاز وألقى كلمـــة أقل ما يقال عنها إنها تاريخية، ففي تلك الكلمة صرَّح بأن البلاد لن تستلم أبدًا، وأن تلك القنبلة التي انفجرت على أرض بلاده سوف تدفع الدول التي قررت إلقاها الثمن غاليًا، وبعدها صرَّح - ولأول مرة - بامتلاك بلاده لأسلحه الدمار الـــشامل، وأن البلاد سوف تقوم بتفجير إحدى القنابل الـــتي تم وضـــعها في إحدى المدن داخل دولة من الدول المشاركة في الحرب علـــى بلاده، وأن تلك القنبلة ليست الوحيدة التي تم زرعها، ولكـــن هناك العديد والعديد من القنابل التي سوف تنفجر واحدة تلـــو الأخرى في حالة تكرار إلقاء قنابل نووية على بلاده.

وبعدها بساعة، وبعد تلقى العديد من المكالمات الهاتفية من العديد من القيادات العالمية تدفعه للتوقف عما ينـــوي فعلـــه، انفجرت القنبلة بوسط تلك المدينة.

انفجرت القنبلة، ومعها مات الآلاف من سكان المدينة، تمامًا كما حدث لسكان المدينة الصغيرة التي تم تفجيرها من قِبَل الأعداء، ذهل الجميع، وارتبك قواد الدول المعتدية.. لقد فجَّر قنبلته الأولى، وليس هناك ما يمنعه من تفجير قنابل أخرى مزروعة بمدنهم، ولم يعرفوا إن كان عليهم استكمال القصف النووي أم لا.

لقد انقلب السحر على الساحر، وخرجت كل المنظمات الدولية تنادي بإنهاء الحرب فورًا، وإلا ضاع الجميع.

هدد الرئيس جمعة بتفجير المزيد إن قام أحد بالاقتراب من بلاده، كان قواد الدول المعتدية في وضع لا يحسدوا عليه، ولكن الضغط الشعبي بتوقُّف الحرب قد حسم الأمر.

بعد تفجير جمعة للقنبلة بأربعة أيام أعلنت كل الدول المشاركة انسحابها من الحرب، وبدأت المفاوضات التي تهدف لإظهار أماكن القنابل النووية المزروعة، والتي باءت بالفشل؛ فقد رفض مسئولو البلاد إظهار أماكنها من أجل منطق القوة، ولعدم تكرار العدوان مرة أخرى.

بعد انتهاء الحرب والمفاوضات واتضاح موازين القوى، بدأ الرئيس جمعة في رحلة بناء ما دُمِّر، وإصلاح الدولة مرة أخرى،

وبعد مرور ما يقرب من السنتين تم إصلاح الكثير من دمار الحرب، وبدأت المياه تعود إلى مجاريها، صحيح أن هناك الآلاف لاقوا حتفهم، ونسفت عائلاتهم، ودمرت مدنهم بالكامل؛ حتى إنها اختفت من الخريطة، ولكنها الحرب، وهكذا تكون الأمور، ولكن الأهم أنهم انتصروا، وهزموا الأعداء شر هزيمة.

في ذلك اليوم الذي كان مقررًا فيه أن يحتفل الشعب بمرور عاميْن على انتصارهم، وأثناء اعتلاء جمعة على المنصة ليلقي بكلمته أمام الجموع الغفيرة من أنصاره من الشعب، وأثناء الهتاف الجنوني للشعب له، سمع الجميع صوت إطلاق ناري، ثم رأوا رأس رئيسهم ينسف وجسده يقع على الأرض.

بعد أن صرخ الجميع، وبعد ارتباك وحُزْن لموت قائدهم العظيم، تم تجميع أشلاء رأسه، ووضعت مع جسده في التابوت الذي لُفَّ بعلم البلاد؛ لتقام له جنازة يمكن القول بكل ثقه إنها أعظم جنازة شاهدتها البلاد على مر تاريخها الطويل، وبعدها تم شُيِّع لمثواه الأخير.

في مكان آخر بعيد، في أحد مقرَّات الحكم لإحدى البلاد المعتديه، تكلم أحدهم وقال: (صحيح أنه انتصر، ومنعنا من استكمال حربنا، ووضعنا في موضع الضعف بسبب قنابله، ولكن تلك المقذوفة النارية سوف تكون بمثابة رد اعتبار لنا).

لم يتم التعرُّف على هوية مطلق القذيفة النارية أبداً، و لم يستطع أحد إدانة أي أحد؛ لذلك لم تتم حروب أو ردود أفعال ضد أي أحد.

تقدَّمت البلاد، بعدما تم انتخاب رئيس جديد للبلاد، واستمرت عجلة التقدم بعدما سار الجميع على نهج رئيسهم العظيم (جمعة)، ودائمًا ما كان الناس يذكرونه بالقائد العظيم الشجاع، وأنه من أفضل من قاد البلاد...

هكذا أنهى جمعة ذلك العالم الافتراضي الذي شعر أثناء تكوينه له بأنه عظيم حقًا، وشعر تقريبًا مثلما يشعر أي رئيس عظيم يقود بلاده للنصر والتقدُّم، لقد عاش حياة جيدة بذلك العالم الافتراضي، وقد كوَّن ذلك العالم وأنهاه في يومين.

بعدها عاش يومين يجوب الإسكندرية، ويستمتع بجوِّها، وبمعالمها التي لا يمل أبدًا من زيارتها، منظر الغروب دائمًا يكون أفضل كل يوم، يذكِّره الغروب دائمًا بنفسه؛ فقريبا سوف يغرب مثل تلك الشمس، ولكن مع فارق أنه سوف يغرب إلى الأبد.

(١٣)

وفي صباح يوم مشمس، بعد أن أفطر، قرر أن يصنع عالمه الافتراضي الجديد أمام الشرفة، وأمام منظر البحر الخلاب.

كان ذلك العالم الافتراضي مختلفًا، ففيه قرر أن يعيش حياته الحالية (في حالة إذا لم يكن ذلك المرض قد أصابه)، ويقوم بتتبع خطوات حياته العادية، ويحاول أن يرى إلى أين يمكن أن تنتهي به، لذلك فقد بدأ العالم الافتراضي على الفور.

استمرت أيام دراسته الجامعية على نفس النهج من التكاسل وإضاعة الوقت في كل ما هو ليس ذا قيمة، قضاء الوقت مع أصدقائه، والاهتمام بتحقيق الأهداف عديمة الجدوى، مثل محاولات اقتناء أحدث هاتف جوال، أو محاولات شراء أفضل ملابس بأقل أسعار ممكنة، أو حتى محاولات اقتناء أحدث الأغاني للمغنِّين المشهورين.

وفي أحد الأيام في منتصف العام الدراسي، كان جمعة يسترق النظر إلى الفتاة التي طالما أثارت إعجابه، ولكنه لم يمتلك الشجاعة الكافية لكي يتحدث معها، فهي دائمًا محاطة إما بصديقاها أو بأصدقائها، وعندما تكون بمفردها يتراجع هو عن خطواته؛ لكي لا يبدو مثل الأحمق.

كان ذلك اليوم في منتصف الفصل الدراسي الأخير له بالجامعة، وإذا نجح فسيتخرج؛ اشتعلت الأفكار في رأسه بقوة، فكانت أفكاره على هذا النحو: (إن لم أحدثها الآن فلن أحدثها للأبد، ماذا سيحدث إن حدثتها وأخبرتها بأنها تروق لي؟ هيَّا.. اجعل هذا اليوم يومًا تاريخيًّا في حياتك، وتوجه لها مباشرة الآن، لا تكن جبانًا أيها الأحمق).

فجأة لاحت الفرصة أمامه، فهي الآن بمفردها، وترددت الفكرة في رأسه: (الآن أو لا للأبد)، قام من على السور الذي كان يجلس عليه مع أصدقائه، وتوجَّه إليها مباشرة، امتلأت دماؤه بالأدرنالين، وبدأ قلبه يخفق بعنف، والأفكار التلقائية في رأسه كانت مختصرة للغاية: (لا تكن أحمقًا وعد أدارجك).. ولكنه حاول ترويضها بأفكار أكثر إيجابية، بينما المسافة تتناقص، حتى اقتربت اللحظة الحاسمة، وتوقَّف أمامها، وارتسمت على وجهها علامة استفهام، وكأن ما يدور في عقلها هو: (ما الذي يريده مني هذا الوغد؟).. عندها بدأ جمعة حديثه.

جمعة: أنا عارف إن اللي هاقوله ده غريب شوية، وممكن تفتكريني مجنون، بس أنا محتاج إني أقولهولِك.

لم ترد الفتاة عليه، ظلت صامتة حتى تستطيع أن تفهم ما الذي يحدث.

جمعة - وهو لا يشعر تقريبًا بما يحدث حوله، فَقَدْ فَقَدَ عقله كل شعور بالعالم الخارجي، وهو يحاول أن يُخرِج سيده من هذا الموقف بأقل الأضرار، عن طريق العمل جيدًا، وإرسال إشارات عصبية جيدة إلى المراكز المخيَّة للتحدث، وكانت ترجمة تلك الإشارات هي:

جمعة: أنا اسمي جمعة، زميلك في سنة رابعة، وأنا عارف إنك ما تعرفنيش، بس أنا...

تردَّد قليلًا، وبعدها قال: أنا أعرفك، وأعرف أنك معايا في دفعتي، عشان أنا.. عشان أنا.. معجب بيكي لدرجة الجنون، وكنت طول الوقت اللي فات مش قادر أقولك حاجة، بس عشان خلاص إحنا هنتخرج، فكان لازم إني أقولك إن في شخص معجب بيكي، قبل ما نتخرج وما تبقاش في فرصة تاني خالص.

ظلت الفتاة فترة تنظر إليه بدون رد، وعلى وجهها ارتسمت علامات غير مفهومة يمكن أن تعني الاستفهام أو المفاجأة أو الحنق من هذا الأبله، ولكنها، وبعد فترة من الصمت، وكأنها

كانت تحاول أن تترك لنفسها الفرصة كي يستطيع مخها أن يهضم ما قيل، بدأت في الحديث...

الفتاة: أنا مش عارفة أقولك إيه.. بس من الواضح إن إنت وأصحابك اللي هناك دول عاملين فيَّا مقلب، فإمشي من هنا بكرامتك أحسن ما يبقى الموقف كئيب بالنسبة ليك.

فوجئ جمعة بما سمعه، ونظر إلى الخلف؛ فوجد أصدقاءه يضحكون ويقومون بالإشارة إليه، وبعض منهم يصيح: (العب يا جمعة يا بتاع الحريم). أصبح الموقف محرجًا لدرجة بعيدة، وهو لا يعرف ما الذي يمكن قوله الآن، فما كان عليه إلا أن أعاد النظر إليها، وبعث عقله برسالة عصبية غير إرادية على لسانه، فتحدث قائلًا: أنا مش عارف اقولك إيه.. بس والله الكلام ده لا مقلب ولا حاجة، وأنا فعلًا كنت بكلمك بجد، وأنا آسف لو كنت ضايقتك يا ريم.

وبعدها أدار نفسه واتجه بسرعة عالية إلى مكان ما بعيدًا عن أصدقائه، ظل بمفرده لفترة، إلى أن وجده أصدقاؤه، كان هناك عدد جيد من السباب البذيء الموجَّه إليهم؛ لإظهاره بتلك الدرجة من السوء أمامها، ولكن بعد فترة أصبح الموقف كوميديًّا، وظلوا يتبادلوا المزاح، حتى جمعة نفسه، وبعدها مرت الأيام.

(في العالم الحقيقي في الإسكندرية، قرر جمعة أن يكون هناك نقطة التقاء بالعالم الافتراضي كمفترق الطرق، أي أن يضع نهايتين مختلفتين).

١- بعد تلك الحادثة بثلاثة أسابيع وجد جمعة نفسه أمام ريم، فحاول أن يحدِّثها؛ لعله يحصل على أي موقف إيجابي تجاهها.

جمعة: إزيك يا ريم.

ريم: إنت تاني؟ عايز إيه؟

جمعة: والله اللي حصل ده كان سوء تفاهم..

ريم: بص يا حمزة..

جمعة: جمعة.

ريم: بص يا جمعة، سواء كان سوء تفاهم أو لأ، خلِّينا نفتكر إنه مش سوء تفاهم.. ماشي.

جمعة: ماشي.

ريم: إنت تفتكر إن واد زَيَّك ممكن يلفت نظري؟ أنا هارُد نيابة عنك.. طبعًا لأ.. عارف ليه؟

لم يرد جمعة، فقد كان متفاجئًا مما يحدث أمامه.

ريم: أنا هاقولّك ليه.. عشان البنات اللي زيّـي إستحالة يعجبهم واحد زيّك، بص يا عم جمعة، أنا دلوقتي هاحاول أعتبر إن مافيش حاجة من دي حصلت، وإنت تروح لحالك، وأنا هاروح لحالي، وابقى سلّملي على أصحابك.

حاول جمعة أن يرد عليها، أو على الأقل أن يدفع الإهانة، ولكنه لم يستطيع أن ينطق؛ فقد شُلّ عقله عن العمل، فتركه في وضع صامت، لا توجد عليه علامات استجابة.

بعدها التفت ريم وتركته بلا عودة، وقد علم وقتها أن صوت عقله في البداية كان على حق.. (لا تكن أحمقًا وعد أدراجك).

بعدها حاول نسيان الأمر، وتحول الأمر إلى نوع جيد من المزاح بينه وبين أصدقائه بعدما علموا بما حدث، ونالت ريم عددًا جيدًا وغير منتهٍ من السباب البذيء، وبعد فترة خمدت الأمور تدريجيًا.

مرت السنوات، وتخرج جمعة بتقدير لم يكن أحد ليحسده عليه مهما كانت أحواله، فقد تخرج بتقدير (مقبول مع مرتبة

النوم والكسل)، وتقريبًا حصل كل أصدقائه على نفس النـــوع من الدرجات العلمية.

في خلال تلك السنوات قدَّم أوراقه إلى الخدمة العـــسكرية الإلزامية، ومن سوء حظه تم الإيقاع به في يوم الإرجاء؛ كـــي يخدم في الجيش المصري كجندي لمدة تقترب من العام، ويمكـــن القول بكل ثقة إن ذلك العام كان من أسوأ الأعوام التي مـــرت عليه في حياته؛ فقد شاهد فيها عن قرب – وقـــام بتجربـــة – كيف يفقد الإنسان كرامته بكل سهولة، وبدون أي اختيارات متاحة لإرضاء الحمقى ذوي المكانات العليا.

وإن كان هناك اختيار آخر فهو اختيار السجن العسكري، الذي فيه يعامل البشريين كأنهم خنازير أثارت غضب صاحبها، لذلك فقد كان اختيار فقد الكرامه من أجـــل الحمقـــى ذوي المكانات أفضل الاختيارات.

بعد أن أنهى فترة التجنيد الإلزامية بدأت رحلة البحث عـــن وظيفة، ويا لها من رحلة بغيضة ظل فيها مرفوضًا مـــن قِبَـــل رؤوساء المكاتب القانونية لفترة طويلة، إلى أن أرســـله أحـــد أصدقائه إلى مكتب قانوني ما، مع توصية وتزكية من ليوافـــق عنيه المحامي الكبير.

بعدما حصل على الوظيفة ظل يعمل لشهور بمرتب حقير لا يكاد أن يكفي حاجاته الشخصية، وبعد مرور أربع سنوات من العمل أصبح ذا شأن، بعد أن حقق عددًا من الانتصارات القانونية في المحاكم، بعدها فقط بدأت الأموال تتدفق عليه.

بعد مرور مزيد من السنوت التي زادت عن الست سنوات، قرر أن الوقت قد حان لكي يتزوج.

لم يكن الأمر صعبًا للغاية، فقد أحضرت أمه له عددًا جيدًا من صور الفتيات المقبلات على الزواج، وبعد عدد من الاختيارات الفاشلة، وجد بعض التلاؤم مع فتاة ما، وبعدها بدأت الخطوات المزعجة للزواج، (المهر، الشبكة، الشقة، العفش، الأدوات الكهربائية، المواسم، اللقاءات العائلية عديمة الفائدة، قاعة الأفراح المبالغ فيها....).

كان الفرح في قاعته فخمة، وتقليديًا لدرجة مملة، هناك عشرات الأشخاص الذي لا يعرفهم، صاخبًا بالأغاني الشعبية والمحلية والتي يتراقص عليها الشباب في الأفراح لجعلها أكثر إثارة، وبالطبع هناك الأطفال الحمقى الذين يصرون - وبطريقه غير مفهومة السبب - أن يلتقطوا هاتفًا خلويًا يحتوي على كاميرا من أحد أفراد عائلتهم، ويقومون بتصوير أحداث

الفرح، وكأنهم يكترثون حقًا لما يحدث، أيضًا عشاء فاخر مع تحلية من قطع الجاتوه متوسطة الجودة.. وفي النهاية أغنية (يا سهر الليالي).

بعد تلك الأغنية تبدأ الرحلة الزوجية، وتبدأ متاعب الزواج والمسئوليات والعمل أكثر من أجل أموال أكثر، وبعدها يبدأ الأطفال في التدفُّق حتى يمتلئ المنزل بهم، وبعدها ينتهي تدفُّقهم، وبعد ذلك تبدأ المآسي الحقيقية، يكبر الأطفال واحد تلو الآخر، كل واحد منهم له متطلباته الخاصة، الميزانية التي لا تكفي لإرضائهم، مرور السنوات وتقدم العمر بدون الشعور بذلك... انتهاء سنة دراسية تلو الأخرى، ترقُّب تخرُّج الأبناء من فترة الثانوية، وبعد ذلك فترة الجامعة، وما فيها من إهدار للأموال، وبعدما تخرَّج كل من الأبناء، الانشغال بالبحث عن الوظائف، وبعدها الزواج....

إلى أن أتى ذلك اليوم...

لم يستيقظ جمعة في موعده، ولم يستجب لزوجته عندما حاولت إيقاظه، بعدها كانت سيارة الإسعاف تحمله في طريقها إلى المشفى، وبعدها بأربع ساعات تم إعلان وفاته بسبب جلطة مخيه أودت بحياته.

بعد ذلك خطوات الدفن، وجنازة لم يكن بها الكثير من الأشخاص، فقط بعض زملاء العمل القدامى، وعدد جيد من أفراد العائلة، وعدد جيد آخر من الأشخاص العشوائيين، بعد ذلك قاموا بدفنه في مقبرة ما في وسط المدينة كانت تخص الطبقه المتوسطة والفقراء، وكان القبر الذي دفن به مدفون فيه من قبله ما يقرب الثلاثون شخصًا وجاهز ليدفن فيه ثلاثون آخرين في أقل من خمسة عشر عامًا، وبعدها إنشاء شادر متوسط الضخامة إحياء لذكراه، وبعدها تبدأ رحلة النسيان في عقول كل من عرفوه تدريجيًّا إلى أن يختفي من خارطة عقولهم إلى الأبد.

٢-بعد مرور ثلاثة أسابيع، وأثناء حديثه مع أصدقائه قامت فتاة تمتلك جمال النبلاء بأخذ جمعة من وسط أصدقائه، وبدأت الحديث مع بطريقة مفاجئة.

ريم: معلش على المقاطعة، بس أنا عايزه أكلمك يا حمزة.

جمعة: جمعة.

ريم: معلش.. جمعة.

جمعة: ماشي..

ريم: مش ها ينفع هنا.. عايزه أكلمك في حتة أحسن.. ماشي؟

جمعة: ماشي..

اتجها بعدها إلى سيارتها، ومنها إلى كافيتريا راقية، وبدون إجراء أي محادثة، خشي جمعة من تلك الكافيتريا؛ لأنه لايمتلك أموالًا كافية لها، خصوصًا السمعة الرائجة لذلك المكان، من الأسعار المغاليه للخدمة به.

اختارت ريم بقعة في المكان، وسحبت كرسيًّا، وجلست، ودعت جمعة للجلوس.

ريم: بص يا جمعة، أنا هاسألك سؤال واحد بس، إنت فعلًا قصدت الكلام اللي إنت قولتهولي آخر مرة؟

جمعة: أيوه.. وأنا آسف عن سوء التفاهم اللي حصل.. معلش أصحابي دول مجانين.

ريم: يعني إنت فعلًا كنت معجب بيا طول الفترة اللي فاتت وماكنتش قادر تقول لي؟

جمعة بحرج واضح: آه.

ريم: إنت ما عندكش فكرة قد إيه أنا قعدت أفكر في اللي إنت قولته ليا، وقعدت أحسبه في راسي، أنا قولت ده ممكن يكون مجنون.. بس إنت كان شكلك واضح إنك مابِتْهَرَّجْش.

جمعة: لا.

ريم: طب إنت ليه ما قولتليش من زمان؟

جمعة: كنت متردد.

ريم: من إيه؟

جمعة: أنا قلت لنفسي مش معقول بنت جميلة أوي زَيِّـــك ممكن تُعجَب بواحد زَيّي.

ريم: وليه لأ؟

جمعة: مش عارف.

ريم: تعرف إن كل أصحابي اللي أعـــرفهم بيِـــدَّعوا إنهـــم معجبين بيَّا، أو دايمًا بيكدبوا عشان يبانوا بشكل أحسن عشان ينالوا على إعجابي وبس.. إنت يا جمعة أول واحد يعمل كده، إنت خَلِّتني أفكر إيه اللي يخلّي واحد يقول اللي إنت قولتـــه ده لبنت مايعرفهاش، إلا لو كان فعلًا مجنون بيها.

جمعة: ....

ريم: جمعة.. أنا معجبة بشجاعتك.

جمعة: أنا مش عارف أقول إيه..

ريم: ....

جمعة: بس فيه حاجات لازم تعرفيها عني.

ريم: زَيِّ إيه؟

جمعة: أولا أنا من عيلة متوسطة، أو أقل من المتوسطة، يعني مكان زي اللي إحنا قاعدين فيه ده فاتورتــه حاليًّـا بِتْمَثِّلّــي كوابيس عبَّاسي لو قررتي إن أنا اللي أدفع.

ضحكت ريم ضحكة صافية يمكن القول بأنها أرقى ضحكة سمعها طوال حياته، وبعدها قالت: ما تقلقش يا جمعة، وبعدين موضوع العيلة ده ما يغيرش من حاجة، إنت هوَّ إنت، عيلتــك مالهاش دخل بيك.

جمعة: ما عندكيش فكرة قد إيه أنا مبسوط للكلام اللي أنا سمعته دلوقتي منك، وما تعرفيش قد إيه أنا مبسوط دلوقتي وأنا قاعد مع بنت جميلة زَيِّك.

ريم: إنت فعلًا شخص مختلف.

بعد ذلك مرت الأيام السعيدة على جمعة، فقد كان يقــضي وقتًا جيدًا مع ريم، التي أصبحت الآن محبوبته بطريقة رسمية، لم يكن هناك تكلُّف أو ادعاء بينهما، فقد كان هنــاك إعجــاب صافٍ بينه وبينها.

مرَّت الأيام، وتخرج كل منهما، وظلَّا علـــى مقربـــة مـــن بعضهما البعض... حتى عندما دخل جمعة الجيش، وقام بقضاء فترته الإلزامية به، كانت أيام إجازته هي النعيم بعينـــه، فقـــد كانت ريم تنتظره، ليقضيا الوقت معًا.

إلى أن انتهت فترة الجيش، وبعدها توسَّطت له ريم في نفس الشركة التي تعمل بها، وقاما بقضاء فترة عملهما بهـــا، إلى أن استطاع جمعة تكوين مبلغ جيد من المال، وبعدها قرر التقدُّم لها رسميًّا.

(في العالم الحقيقي في الإسكندرية، قرر جمعة أن تكون هناك نهايتان لذلك الجانب)..

أ- عندما عرف والدها بما ينتوي جمعة عمله، رفض أشـــد الرفض أن يصاهر شابًّا من الطبقة تحت المتوسطة، ورفـــض أن يزوِّجه ابنته، وبعدها قام بنقله من فرع الشركة لفـــرع آخـــر بعيد؛ حتى لا تتسنَّى له رؤيتها، وبعدها أجبر ابنته على ألَّا تراه مجددًا، وهدده بتدمير مستقبله إذا حاول التقرُّب من ابنته مـــرة أخرى، حاول جمعة أن يعود لها مجددًا ولكنه فشل، وفي يوم من الأيام فوجئ بخبر زواج ريم من رجل أعمال ثري، بالطبع كان زواج منسق من قِبَل والدها؛ لذلك حاول جمعة أن يـــصل إلى ريم قبل فوات الأوان، ويحاول أن يغير مجريات الأمور.

كانت الفكرة التي تدور برأسه هي الهروب من هذا العـــالم، والتوجُّه إلى أي بقعة في العالم يمكن أن تسعهما بـــدون تلـــك المشاكل المطاردة لهما، ولكنه عندما وصل إلى ريم كـــان مـــن الواضح أنه وصل متأخرًا للغاية.

عندما وصل إلى منزل عائلتها الفخم الذي كان من المقـــرر إقامة حفل القران به، كانت عربـــات الإســـعاف والـــشرطة بالمكان، و لم تمضِ لحظات حتى عرف حقيقة ما حدث.

لقد قتلت نفسها عن طريق جرعات زائدة من مجموعة مـــن الأدوية شديدة الفاعلية، لقد قتلت نفسها من أجله، لم تستطع أن تشارك أحدًا غيره حياتها.

لم يمر يوم آخر حتى تناقلت الصحف في خبر صـــغير عـــن انتحار شاب ما يدعى جمعة عن طريق إشعال النار بنفسه.

ب- عندما علم والدها أن ابنته الوحيدة علـــى وشـــك أن تتزوج من شاب كان زميلًا لها في الجامعة، وهو زميل لهـــا في العمل، قام بالتحرِّي عنه، وعرف أنه حقًّا يحب ابنته، ويحـــاول جاهدًا من أجل إرضائها، كما أن أهله طيبون يطلبـــون فقـــط الخير من أجل ابنهم.

فما كان منه إلا مباركة الزواج، وبالفعل تم الأمــر بــدون تعقيدات زواج الطبقة الوسطى، فقط حفل قران بسيط، مــع أغانٍ راقية بسيطة تعكس الرونق الحقيقي لطبقة النــبلاء، مــع بعض المباركات من العائلتين، ولا بأس بإطلاق عدد جيد مــن المزحات خفيفة الظل، وبعدها انتهى الحفل بموسيقى لأنطونيــو فيفالدي.

بعدها كانت الحياة بالنسبه لهما كنسمات خفيفة وبــاردة، مهما كانت المصاعب التي كانت تواجههما فهما دائمًا يعملان على حلها بدون إثارة أعصاب بعضهما البعض، وبعدها بــدأ الأطفال في التدفُّق، عمل كلاهما على أن يحظى أطفالهما بحيــاة النبلاء؛ من تعليم راقٍ، وتنيمة مواهبهم الجــسدية والنفــسية والشخصية، وأثناء ذلك يمر العمر تدريجيًّا حتى يصل بهما العمر إلى تلك المرحلة التي تمكنهم من مشاهدة تساقط أحبابهما واحدًا تلو الآخر بسبب التقدم في العمر، إلى أن يأتي الدور على جمعة لكي يتجه إلى الحياة الأخرى عن طريق خلل مــا في الجهــاز الدوري، وما كان عليه الانتظار فترة طويلة في الحياة الأخــرى حتى أعقبته زوجته بعد انهيارها عصبيًّا، ممــا أدى إلى مــشاكل جسدية.

بعدما تم دفن كل منهما في قبرين متجاورين، في أرض راقية خاصة بمقابر النبلاء، لم يكن عليهما بعد ذلك إلا أن ينظرا إلى أبنائها من آن لآخر من السماء.

لقد قام ببناء ذلك العالم في يومين، وبعد أن أنهاه شعر كيف يمكن أن تكون الحياة التقليدية لعينة، وكم يمكن أن تكون جزءًا من النعيم.

أثناء بنائه للعالم الافتراضي اتصلت به عائلته لكي تتفهم لماذا لم يأتِ حتى الآن؟ وما إن كان قد أصابه مكروه آخر غير مرضه الملعون، ولكنه طمأنهم وأخبرهم بأنه فقط يحتاج إلى مزيد من الوقت بمفرده، وأنه سوف يعود قريبًا خلال أسبوع أو اثنين.

وكانت هناك محادثة مماثلة بينه وبين صديقه خليل الذي قلق بسبب تأخُّر جمعة في منزل عائلته، فهو لا يريد مشاكل هناك في الإسكندرية بوفاته في منزل عائلته، ولكن جمعة طمأنه بنفس الطريقة التي طمأن بها عائلته.

بعد ذلك كعادته ظل يجوب المدينة ويتأمَّل مظهر الغروب ويقابل أشخاصًا عشوائيين، وبعد مرور يومين، وفي صباح يوم مشرق جلس على مقعده الوثير أمام شرفته العزيزة، وبدأ يفكر في العالم الافتراضي التالي....

(١٤)

هو يريد أن يكون بطلًا، صاحب مغامرات تشيب الرؤوس من أهوالها، ولكنه لا يريد أن يكون بطلًا في الزمن الذي يعاصره، ماذا عن المستقبل؟ حسنًا.. ليكن المستقبل هو وجهته.

بعد أن انتهى من ليلته التي قضاها مع أصدقائه وأثناء عودته إلى منزله، بعد أن أوصله الميكروباص إلى أقرب نقطة من منزله، وبعد أن سار على قدميه ما يقرب الثلاث دقائق، فجأة توهَّج ضوء من اللامكان في منتصف الطريق، وبعدها انبثق من ذلك الضوء شيء يشبه غرفة صغيرة ولها باب صغير يسمح لفرد واحد بأن يدخل، ظل جمعة يحدِّق في ذلك الشيء هو وكل من حوله من الناس، إلى أن قرر أحد الأشخاص أن يقترب منه، وبجرد أن لمس سطحه تحول إلى سائل لزج تبخَّر بعدها بنصف دقيقة، بعدها فقد الجميع صوابهم، وبدءوا في الصراخ والصياح والعويل، وأثناء ذلك فُتح ذلك الباب الصغير ومعه صدر صوت غير مفهوم، وظل الباب مفتوحًا لفترة لا بأس بها، عندما اقترب جمعة من تلك الغرفة مرة أخرى، وقد قرر أن يعبر ذلك الباب قبل أن يأتي رجال الشرطة ويقرر أحدهم أن يفجر ذلك الشيء.

صحيح أنه كان خائفًا من أن يقابل مصير الشخص البائس الذي سبقه، ولكنه كان يطمئن نفسه بأنه سوف يعبر ذلك الباب، وأن الموقف مختلف عما سبق، لم يحاول أحد أن يمنعه؛ فقد أرادوا أن يروا مزيدًا من ذلك السحر الذي يحوِّل الأوغاد إلى بخار.

وبالفعل استطاع جمعة أن يعبر ذلك الباب بدون أن يحدث له مكروه، فقط استمر في حشر نفسه بداخله إلى أن استطاع أن يدخل الغرفة التي كانت متسعة بطريقة عجيبة، غير ملائمة للحجم الخارجي لذلك الشيء، ولكن ما أثار قلقه أكثر ذلك الكائن الأصفر العجيب الذي يجلس على أحد مقاعد قيادة ذلك الشيء.

حاول أن يهرب، ولكن ذلك السؤال التاريخي منعه: (ماذا إذا قرر أن يهرب الآن؟ وقتها لن يعرف أبدًا ما يحمله ذلك الكائن من أسرار وعجائب).. لذا فقد اقترب منه، وقبل أن تكون المسافة بينه وبين ذلك الأصفر مترين، توهَّج ضوء بينه وبين الأصفر وعليه مئات الكلمات، وكان من ضمنها العربية والإنجليزية وعدد آخر من اللغات، ووجد علامه يد رقمية قابعة في أحد أركان تلك الشاشة الضوئية، ففهم أن ذلك الأصفر يريد أن يعرف لغته؛ لذلك فقد أشار إلى العربية، وبعدها

اختفت الشاشة وظهر أمام جمعة شيء يشبه سماعات الـرأس؛ فقام بارتدائها بارتياب، وبعدها بدأ الأصفر في الحديث.

قبل أن يتحدث الأصفر كان جمعة ينظر لذلك الشيء، فقد كان عجيبًا بحق؟ فقد كان رأسه مقسم إلى كـرتين، واحـدة صغيرة، وهي تحمل ملامح وجهه، من عينين كاملة الخضرة، ما عدا نقطة سوداء بالداخل، وله شيء يشبه الأنف، ولكن بثقب واحد متسع، وله فم بلا أسنان، أما الكرة الثانية فقد كانـت كبيرة نوعًا ما، وهي متصلة بالكرة الصغيرة من الخلف، ويبدو أنها تحتوي على مخ ذلك الأصفر، أما باقي الجسد فقد كـان يشبه الجسد البشري، بفارق أن قدميه ضخمة للغاية، ولها شكل مثلث غير مفهوم، وكان يرتدي زيًّا من قطعة واحدة تغطي كل جسده تقريبًا.

بدأ ذلك الكائن الحديث وقال إنه يطلب منه مـساعدته في تدمير حاكم كوكبه الذي فقد صوابه وقـرر تـدمير المجـرة بأكملها، بعد أن سئم تلك المجرة اللعينة بمـشاكلها وحروبهـا، وكل الكائنات المملة التي بها، وبعد أن وجد كوكبًا آخر أنيقًـا بمجرة أخرى بعيدة لا يوجد بها حياة سوى الحيوانات البدائية التي تتمثل في البكتريا وما شابهها، وبعد أن قام ببناء ذلك الكوكب،

قرر أن ينقل مجموعة من الصُّفْر إلى ذلك الكوكب ليكوِّن حياة أخرى يكون هو فيها السيد الوحيد بدون منازعين ومشاركين.

المشكلة بالنسبة لهذا الأصفر أنه كان من المقربين للحاكم، وعندما عرف بتلك الخطة لم يكن يصدق ذلك، وحاول أن يعارض الحاكم الذي كان يُدعى (خلباواس) ولكنه لم يوافق، وبعدها حاول أن يمنعه من تنفيذ ذلك بمحاولة اغتياله، وعندها فُتحت نيران الجحيم عليه، وأصبح مطاردًا من كل قوات الحاكم، ولكنه استطاع أن يفر إلى الكوكب المائي الأرضي، وهناك ظل مختفيًا لفترة إلى أن قابل عالمًا متحمسًا يقوم ببناء آلة تمكّنه من التنقُّل عبر الزمن، وظل مع ذلك العالم الأرضي لعله يستطيع تغيير مجريات الأحداث إذا عاد إلى الماضي، إلى أن نجح في بناء تلك الآلة، وقبل تشغيلها وصلت قوات الحاكم إليه وقامت بإصابته في أماكن متعددة بجسده قبل أن يستطيع أن يهرب هو والعالم الذي يُدعى (بانجي)، ولكن عطب ما حدث أدّى إلى رجوع الآله بالزمن إلى الخلف بمقدار ألف وسبعمائة عام بالتقدير الأرضي، وفي ذلك الزمن بالتحديد.

ظهر العالِم بعدها لجمعة، وبدأ بالتحدث بلغة عجيبة، ولكنها سرعان ما تُرجمت، وفيها يقول بانجي إن المركبة الزمنية قد عطبت، ويمكنها العودة مرة أخرى إلى نفس الزمن

الذى قدمت منه متقدمًا عنه بيومين، وبعدها ســوف تعطــب نهائيًّا، وسوف يحتاج إلى ما يقرب العامين لإعادها للحياة مــرة أخرى، وهذا زمن لا يملكه؛ لأن خلباواس سوف يقوم بتنفيــذ خطته خلال ٢٠ يومًا من زمن عــودهم، ولــن يــستطيع أن يصلحها في هذا الزمن؛ لأنه متأخر للغاية، ومــا يحتاجــه لــن يتواجد على الأرض إلا بعد مرور ١٦٠٠ عام من الآن.

وأضاف العالم أن إصابة الأصفر الذي يُــدعى (بلبلكــاع) سوف تسقطه في غيبوبه لا يعلم أحد متى سوف يستيقظ منها، وأن علاج تلك الغيبوبة في أحد كواكب المجــرة، وأنــه لــن يستطيع أن ينقله إليه بمفرده، بجانب أن الوقت ثمــين للغايــة، ويجب على أحد أن يقوم بشيء، وأن هناك عدد جيــد مــن الأفراد على كوكب الأرض يمثلون حلفاء لبلبلكــاع، ولكــن المشكله أن قوات الحاكم قامت بالقبض عليهم في آخر مــرة، وقامت بإلقائهم في سجون المجرة؛ ولا يوجد أحد لإنقاذ المجــرة سوى العالِم نفسه وبلبلكاع، والعالم يحتاج إلى مساعدة شخص ثالث الآن، وأن شخص مثل جمعة سوف يرفع فرص نجــاحهم بعض الشيء، فهو إذا أتى معهما إلى المستقبل لن يرتاب أحــد من قوات الصفر فيه؛ لأنه وبكل بساطة غير موجود في هــذا الزمن، وليست له أي سجلات إجرامية أو مناهضة ضد الصفر؛

لذا فهو يستطيع أن يقوم ببعض الأعمال التي سوف تخفيهم عن الأنظار، صحيح أن بلبلكاع أو بانجي لم يخططا لذلك، ولكن الظروف فرضت نفسها عليهم، لذا فقد طلب من جمعة من أن يساعده، مع إعطائه وعد بإعادته إلى عالمه مرة أخرى بمجرد إصلاحه للآلة إن استطاع إيقاف خلباواس عن مخططه الأرعن.

أي شخص عقل كان سيخرج من تلك المركبة في اللحظة التالية، فتلك المعركة ليست معركته فهو في ذلك العصر سوف تتحول الحشرات التي نهشت جثته إلى تراب وهواء، ولكن تفكير جمعة كان مختلفًا، فقد نظر إلى حياته وأين سوف تنتهي، سوف تكون مملة بطيئة لعينة؛ لذلك سوف يقوم بالذهاب إلى ذلك العالم، ويحاول بأقصى قواه أن يدمر ذلك الأرعن الذي يدعى خلباواس.

أخبر جمعة العالم بأنه سوف يقدم المساعدة، وسوف يبذل أقصى طاقته من أجل إنقاذ المجرة.

وأخبره العالم أن يجلس وينتظر قرابة نصف الساعة من أجل إعداد المركبة للرحيل إلى عصرهم.

جلس جمعة إلى جانب بلبلكاع، وبدأ بلبلكاع في إخباره بخطوات إرساله إلى ذلك الكوكب الذي سوف يخرجه من

غيبوبته المرتقبة، وبمن سيساعدونه هناك، وبعدها أخبره بأن بانجي يعرف أماكن ملفّاته الإلكترونية التي تحوي على بعض أسرار المجرة التي قد تساعدهم في إنقاذ مجرتهم في حالة فشلهم في إنقاذه من الغيبوبة، وظل يخبره بأشياء لم يستطع فهمها، بعدها ظهر بانجي وأخبرهم أن المركبة تستعد للعودة، وبعدها عادت إلى زمنهم مرة أخرى.

عندما عادت المركبة إلى زمنهم اختار بانجي مكانًا آخر لتحط به مركبتهم بعيدًا عن مقرهم القديم إلى مقر آخر، بعد عودتهم بفترة قليلة كان بلبلكاع قد سقط في غيبوبته، وبعدها بدأ بانجي في القيام ببعض الأمور، وتجهيز بعض الأشياء التي تمهّد للذهاب إلى كوكب (لسطبان) الذي به المساعدات الطبية، في ذلك الحين خرج جمعة من المقر لكي يرى شكل كوكبه في المسقبل.

لقد كان المقر وسط مدينة غريبة للغاية؛ فقد كانت تحتوي على بنايات، ولكنها بلا قواعد؛ أي إنها طافية، ولكنها لا تتحرك من مكانها، وكان لكل مبنى أشياء تشبه الأنابيب المطاطية تسقط من أسفل كل مبنى يدخلها الفرد لكي يُشفط من خلالها إلى داخل المبنى، بالإضافة إلى أن البنايات نفسها كانت مصنَّعة من المعادن، وكان معظمها مرتفعًا للغاية حتى إن بعضًا منها قد لامس الغلاف الجوي للكوكب.

أما بالنسبة للمركبات، فقد كانت عبارة عن طبقات رقيقة مسطحة معدنية، أيضًا طافية ومرصَّصه إلى جانب الطريق، ومتاحة للجميع، كل ما عليك هو أن تقف عليها وتخبرها بوجهتك، بعدها سوف تقوم هي بالباقي.

الطرقات كلها معبَّدة بمادة كيميائية مخملية عجيبة، ذات لون أحمر، وعلى جانب الطريق تمتد المزروعات الخضراء الكثيفة، وكان معظم من رآهم آدميين، وبعض الصفر، وكائنات بيضاء طويلة تشبه البشر إلى حد بعيد.

ولكن كان هناك خطب ما في أقدام الصفر؛ فهم لا يحركون أرجلهم أبدًا، ولكنهم يتحركون، لاحظ أن أقدامهم المثلثه بها نظام مختلف عن الكائنات الأخرى، فعلى ما يبدو أنها تطورت بحيث تتحرك مثل عجلات الدبَّابات، عن طريق عظام صلبة بارزة من القدم في شكل معقد للغاية.

أما ما أثار دهشته فهو أقدام الآدميين، ففجأة، وأثناء مشاهدته للمدينة، توقَّف أحد البشر أمامه على فتحتين مناسبتين لقدميه، وبعدها تبرَّز من خلالهما، وبعدها قامت بعض المنظِّفات الإكترونية بالقيام بعملها، وبعدها عاد البشري إلى طريقه مرة أخرى ليرتاد إحدى المركبات المسطَّحة، تلك

الفتحات كانت منتشرة على جانبي الطريق، ومن فترة لأخرى يقف عليها بشري ما ويقضي حاجته ويعود لإكمال طريقه.. يا لها من طريقة عجيبة للتطور، هو ما ظل جمعة يفكر به.

بعد فترة من التأمل والمشاهدة عاد مره أخرى إلى المقر، وعندها قابل بانجي وجده يستريح على مقعد طاف، فطلب منه أن يخبره ماذا حدث لذلك الكوكب، وكيف يسير نظامه الحالي.

كان كلام بانجي مقتضبًا، فحدَّثه عن أول ظهور لهؤلاء الصفر على الكوكب، وكان مطلبهم هو المياه، ولكن اتحاد الدول آن ذاك رفض ذلك، لهذا قرر حاكم الصفر في ذلك الزمن بإرسال بعض من قواهم لكي يؤدِّبوا ذلك الكوكب، استعدَّ الكوكب لخوض المعركة، لكنها كانت تفوق تقدمهم العسكري بمئات المرات، وبالرغم من استخدامهم عددًا من الأسلحة المتطورة ولكنها لم تستطع رد قوات الصفر، ولكن كان هناك سلاح قوي قديم تم استخدامه من قبل، وهو المتفجرات النووية، وقد نجحت في إثارة الرعب في قوات الصفر؛ لقدرة تلك المتفجرات على تدمير الجميع بدون تمييز، ولكن في النهاية تمت السيطرة على الأرض، وبدأ الصفر في

سحب كميات من مياه المحيطات على حسب احتياجهم لها، وبدأت المياه في الإنخفاض تدريجيًا، وما زالت تقل إلى الآن، ولكن الأرضيين لم يفنوا، وبعدها قامت معاهدات بين الأرضيين والصفر تحتّم تعيين حاكم واحد للأرض يقوم بإدارة شئونها، ولكنها تبقى تحت سيطرة الصفر، ومع ارتفاع درجات الحرارة الدائم للكوكب، تم ابتكار جهاز ضخم يتم بنائه بداخل كل مدينة مهما كبرت أو صغرت، ويقوم ذلك الجهاز بتعديل درجات الحرارة، ويكوّن ما يشبه الغلاف الجوي حول كل مدينة؛ لذلك فلا يمكن لأي بشري أن تطأ قدماه أي بقعة خارج أي مدينة إلا إذا كان بداخل إحدى المركبات الخاصة، التي تسمح بالتنقُل بين المدن ، والآن الأرض جزء من اتحاد الكواكب المجاورة بقيادة الصفر، وكائنات السنمنجر التي تنازع الصفر في تحكُمهم بالكواكب.

بعد مرور عدة ساعات، بدأت مهام جمعة، فقد طلب بانجي منه أن يقوم بإنهاء بعض المعاملات الرسمية خارج المقر لكي تساعدهم على السفر، وقام بإعطائه إحدى البزّات التي سوف تجعله يظهر في شكل طبيعي، إلى جانب الجهاز المترجم الذي لن يثير شك أي أحد، نظرًا لتعدد الكائنات.

خرج جمعة بالفعل، وذهب إلى إحدى البنايات المسئولة عن السفر عبر الكواكب، وعن طريق هوية مزيفة أعطاها له بانجي استطاع أن يحجز مقعدين وفراشًا طبيًّا بداخل المركبة الفضائية المتجهة إلى كوكب لسطبان.

قام العالم بإجراء بعض مناورات التخفّي كـــي يــصل إلى مقاعد المركبة، عن طريق تغيير ملامـــح وجهـــه مؤقتًـــا هـــو وبلبلكاع، واتخاذ بعضًا من الهويات المزيفة، إلى جانب التلاعب في بصماته الجينية ببعض الألعاب التكنولوجية، وبعدها أخذ كل منهم مقعده وابتعدوا عن كوكب الأرض متجهين إلى لسطبان، وهناك سوف تكون قوات الصفر منعدمة تقريبًا؛ لأن لــسطبان يقبع تحت سيطرة السلمنحر.

كان كوكب لسطبان أكثر طبيعة من كوكب الأرض، فيـــه المسطّحات الخضراء تغطي أكثر من ثلثه، وبه أيـضا بنايـــات طافية، ولكنها ليست بضخامة بنايات الأرض، كما أن ساكنو كوكب لسطبان لم يكونوا يسيرون على أقدامهم، بل كـــانوا يتنقّلوا عن طريق أطراف تشبه أجنحة الـــذباب، ولكنـــهم لم يكونوا يصدرون طنين الذباب المزعج.

توجَّه بانجي وجمعة ببلبلكاع إلى أحد الأماكن التي أخبره عنها بلبلكاع مسبقًا، وهناك وجدوا كائنات لسطبان، وكان من ضمنهم الطبيب الذي كان صديقا لبلبلكا، وقد كان يعرف حالته مسبقًا عن طريق الرسائل المشفَّرة التي أرسلها له بانجي مسبقًا، وبعد إجراء بعض المناورات الطبية وحقن بلبلكاع ببعض المواد، أخبرهم الطبيب بأنه سوف يفيق خلال بضع ساعات.

انتظر كل من جمعة وبانجي إلى أن أفاق بلبلكاع، وبعد فترة باشر بلبلكاع خطته لمنع خلباواس من تدمير المجرة.

كان بلبلكاع سابقًا يرى أن خطة آلة الزمن هي الخطة الكاملة التي سوف تنهي الأمر بدون تعقيدات أو مشاكل، لذلك فقد كان يبتعد عن المواجهة المباشرة، أما الآن فقد اختلف الأمر، فلا يوجد هنا طرق مختصرة لإنهاء الأمر؛ لذلك فقد كانت خطته واضحة وصريحة، عليه أن يغتال خلباواس، وبعدها يفكك القنبلة الهائلة التي من المقرر لها أن تنسف المجرة.

هو يعرف بعض الطرق الخلفية التي سوف تمكِّنه من دخول كوكب القيادة للصفر، والذي يقبع به خلباواس كوكب (ألكتورف)، ومن هناك سوف ينفذ بعض الخطط طبقًا لخبرته ومعرفته بالمكان، إلى أن يصل إلى خلباواس.

كوكب لسطبان مكان جيد ليقوموا بالتحرك منه إلى كوكب ألكتورف مباشرة، بنفس الهويات المزيفة دون أن يثيروا ريبة أحد من السلمنجر أو من الصفر، وبالفعل توجهوا إلى ألكتورف، وهناك كانت الحراسات مشددة لأقصى درجة، ولكن بلبلكاع استطاع أن يتخفى ويعبر مناطق الحراسات، ووصل بهم إلى منطقة آمنة، وظلوا بها يخططون لمدة أربعة أيام، وجد بلبلكاع نقطة يستطيع أن يدمر بها خلباواس، وهي أنه يستطيع أن يصل إلى المركبة الرئيسية لخلباواس، ويقوم بزراعة متفجر إلكتروني به، وبعدها يقوم بتفجيره، كانت الخطة بسيطة، ولكن خطواتها كانت معقدة، وتحتاج إلى صبر ومهارة.

وفعلًا بدءوا بتنفيذها، واستطاع بلبلكاع الوصول إلى المركبة، وكان بانجي يقوم بأعمال التأمين الإلكترونية؛ حتى لا يشعر بهم أحد، بينما جمعة كان يقوم بدور المراقب من الخارج عن طريق بعض الأجهزة التي علمه بانجي استخدامها لكي يخبرهم بتحركات القوات أو تحركات خلباواس نفسه.

ولكن أثناء عمل بلبلكاع تم اكتشاف أمره عن طريق بعض الحراسات، وتم القبض عليه وعرضه على خلباواس، الذي قرر أن يؤخذ إلى سجن الكوكب الراقي الذي اختاره بخارج المجرة؛ حتى يرى نهاية المجرة وبعدها يقوم بقتله.

أثناء هروب بانجي من المنطقه تم القبض عليه أيضًا، وقـــرر خلباواس أن يلقى نفس مصير صديقه.

وقتها لم يتبقَّ إلا جمعة بالخارج، والذي عن طريق أجهزتـــه استطاع أن يعرف ما حدث لأصدقائه، فقرر الابتعاد عن تلك المنطقة والعودة إلى المنطقة الآمنة كي يهرب من ذلك الوغـــد خلباواس.

ظل جمعة لمدة ثلاثة أيام مشتت التفكير، لا يعرف ماذا يفعل الآن، فهم في موقف لا يحسدوا عليه، وهو عالق في زمن غـــير زمنه، وفي كوكب غير كوكبه، والكون الذي يعرفـــه ســـوف يُنسف بعد أقل من عشرة أيام، بالإضـــافة إلى أن صـــديقيه تم نقلهما إلى كوكب خلباواس، ولن يـــستطيع إعادتهمـــا مـــرة أخرى، فكر في أن يطلب المساعدة مـــن الـــسلمنجر، ولكـــن بلبلكاع حاول مسبقًا ولم يـــصدقوه، لأن لـــديهم عيونًـــا في كوكب ألكتروف، ولم يسمعوا عن أمر مشابه.

لذا فقد عرف أنه الوحيد الذي يستطيع أن ينقذ العالم الآن، ولكن ماذا يمكنه أن يفعل؟ يغتال خلبـــاواس؟! لقـــد حـــاول بلبلكاع مسبقًا وفشل مرتين، فما الذي يجعله مؤهلًا لذلك.

ظل يقلب ملفات بليلكاع السرية ليومين آملًا أن يجد ثغـرة ما يستطيع أن يقلب بها الموازين، فوجد نقطة كان دائمًا يمررها دون أن يعطيها اهتمام، وكانت تلك النقطة هي خطته التي بدأ في تنفيذها في اليوم التالي مباشرة.

عندما وصل إلى ذلك المخزن لم يجد هناك أي نـوع مـن أنواع الحراسة؛ فتوجه إلى منطقة منتصفه وقام بزرع قنابله بها، وقام بضبطها على أن تنفجر بعد يوم من تركيبها.

اتجه إلى إحدى مناطق السفر الفضائي، وقام بحجز رحلة إلى كوكب الأرض، لم يشك به أحد؛ لأنه عند قدومه إليهم كان منفصلًا عن بليلكاع، وكان نابجي أيضا منفصلًا عنهما؛ لـذلك فقد خرج من الكوكب دون أن يثير ريبة أحدهم.

بعد أن سيطر الصفر على كوكب الأرض، قاموا بسحب كل القنابل النووية من الأرض، ولم يبقوا بها أي غبار نـووي، وقاموا بنقلها إلى مخزن بداخل كوكب ألكتورف، وتم تركهـا هناك، وتم نسيان أمرها على مر السنين.

كل ما كان عليه أن يقوم بزرع إحدى القنابل شديدة القوة من التي تركها بليلكاع في المقر الآمن بداخل ذلـك المخـزن، وبعدها يترك الكوكب وبداخله نابجي، وينتقل إلى كوكب آخر، وبعدها ينتهي الأمر.

أثناء عودته للأرض حدث ارتجاج خفيف للمركبة، قلق بعضهم لبعض الوقت، وبعدها عادوا لهدوئهم، لم يكونوا يعرفون ما حدث، ولكن واحد منهم فقط يعرف لماذا حدث هذا الارتجاج، ولماذا حدث الآن، كان هذا الشخص يدعى جمعة، أتى من الماضي لكي ينقذ عالم المستقبل من الفناء.

بعدها بأيام تم نشر الأخبار، وقامت قوات السلمنجر بتولي قيادة الأمور في المجرة، ولكن ضررهم كان أخف وطأة من الصفر، وعندما تحرَّوا الأمر، عرفوا أن هناك أرضي هو الذي فعل هذا وأنقذ الكون، بعد أن كانوا جميعًا مهددين بالفناء دون يعرفوا.

وصلوا إلى جمعة، وعرفه الجميع، وأقاموا له الأفراح، فلقد كان بطلهم الذي أنقذهم، وبعدها طلب من السلمنجر أن يذهب إلى كوكب خلباواس كي يحرر صديقيه ويأتي بهما، وبالفعل ذهب هناك، وهناك حدث ما لم يتوقعه أحد.

عندما قابل جمعة بلبلكاع كان يتوقع أن يكون فرحًا وسعيدًا، ولكنه قابله بلكمة وصياح، وقال لجمعة إنه دمَّر كوكبه. ودمر أهله وعائلته كلهم، وقد فني شعبه عن بكرة أبيهم، حاول جمعة أن يخرج من ذلك الموقف، فهو لم يفكر

بتلك الطريقة أثناء تنفيذه لخطته، لقد كان يحاول إنقاذ العالم ليس إلا.

بعد أن تحرر بلبلكاع تركه الجميع كي يفرغ شحنة غضبه بمفرده، ولكن الغضب كان قد أعماه لدرجة الجنون؛ لذا فقد توجَّه إلى صالة حكم خلباواس، وهناك فك شفرة جهاز ما، وظهرت أمامه لوحة تحكُّم يتوسطها زر أصفر عملاق، وبعدها طلب من جمعة أن يأتي.

عندما أتى جمعة لم يفهم ما الذي يحدث، ولكن بلبلكاع اختصر عليه الأمر وأخبره أن الكون لا يعني له شيئًا الآن بعد أن فني شعبه وأهله، وأنه سوف يُذيق الجميع ما شعر به أهله عندما انفجروا.. وبعدها مباشرة ضغط على ذلك الزر الأصفر العملاق.

انفجرت قنبلة بوسط مجرة درب اللبانة، قنبلة لم يشهد أحد مثلها وبعدها دُمِّرت المجره بأكملها، وانتهت كل أنواع الحياة عليها.. بعد ذلك قام بلبلكاع بتفجير جسد جمعة بسلاح ما كان بجانبه، وحوله إلى ملايين الأشلاء المتفحِّمة، وبعدها وجَّه نفس السلاح إلى جسده، وفجر نفسه..

أنهى جمعة العالم الافتراضي الذي أحس فيه بشعور الأبطال والأوغاد والذين فقدوا صوابهم.

ظل جمعة يبني هذا العالم فيما يقارب الثلاثة أيام، وبعـــدها أعطى نفسه فترة راحة لمدة يومين كعادتـــه، يجـــوب المدينـــة ويتعرف على بعض الأشخاص من تلك المدينة المثيرة التي يشعر الكثير ممن زاروها أن أهلها لايكترثون كثيرًا للحياة الـــسياسية والقرارات الآتية من العاصمة، هم يعيشون بالطريقة التي تريحهم بدون إثارة جنون السلطة، من آن لآخر يأتي مسئول مـــا مـــن محافظة ما لكي يمسك منصبًا مهمًّا في تلك المدينة، وهذا ما يثير حنق أهلها فعلًا؛ فهم لا يتحمَّلون هراء الآخرين مـــن المـــدن الأخرى، وبالتأكيد هم لا يتحمَّلون قراراتهم الحمقاء التي يقلـــد فيها المسئول بعض حمقى العاصمة.

تعرَّف على بعض الأشخاص من سكان الإسكندرية، وشعر من خلالهم كم هي ثقيلة الحياة في القاهرة، وكم أن الحياه فعلًا مرحة في الإسكندرية.

(١٥)

في صباح اليوم التالي، جهَّز نفسه للعالم الافتراضي التـــالي، بعدما أنهى إفطاره، وجهَّز كوب الشاي، وجلس أمام الـــشرفة أمام منظر البحر.

ما الحياة التي لن يتمكن من عيشها ويمكن لعقله أن يوجدها له؟

ماذا عن حياة يعيشها بقوانينه هو فقط، فمنذ أن أبـــصرت عيناه هذا العالم وهو يعيش بقوانين الآخرين، فمنذ لحظة ولادته كتب له الآخرين طريقًا لم يستطع أن يحيد عنه، بداية بتسجيل اسمه في الحكومة، مرورًا بفترات التعليم المختلفة، وعدم قدرتـــه على فعل ما يريد إلا إذا أذن له الآخرون، فهو لايستطيع شراء طعام إلا إذا توفَّرت له الأموال اللازمة التي تجعل صاحب الطعام يوافق أن يعطيه له، أيضًا لا يمكنه السفر إلى الخارج إلا بعد أن يقوم بإنهاء المئات من الأوراق، وبتحري الآخرون عنـــه حـــتى يأذنوا له بالسفر، لا يمكنه الاحتجاج أو كسر أي قـــانون، وإلا كان مصيره بحجرة الاحتجاز وسط الأوغاد الحقيقيين.

كان يجلس في منزله يرتب ويجهز لتحقيق فكرته؛ فقد قـــام بجمع الكثير من الأموال..

أولًا: عندما تخمَّرت الفكرة في رأسه بدأ في اختيار المنطقة المناسبة لذلك، وكان اختياره عامًّا، فلم يختر بقعة بعينها ليستقر بها.

ثانيًا: بدأ في تجميع المعلومات من الشبكة العنكبوتية التي سوف يكون في أشد الحاجة لها أثناء عيشه بقوانينه.

ثالثًا: بدأ في تجميع الأموال التي سوف تمكّنه من شراء المعدَّات و المتطلبات التي سوف تعينه على الحياة هناك.

رابعًا: قام بتكوين جهاز ما بنفسه بعد تجميعه لبعض المعلومات التي ساعدته على ذلك.

خامسًا: كان عليه أن يحصل على وسيلة انتقال تسمح له بالوصول هو ومعداته إلى تلك المنطقة.

بعدما أعد العدة لكل شيء، بدأ مباشرة في تنفيذ خطته لكي يعيش حياته بطريقته الخاصة.

كانت وسيلة الانتقال تسبب مشكلة ضخمة له، فلم يجد أي شخص يوافق أن ينتقل به إلى البحر الأحمر ويجوب به صعودًا ونزولًا حتى يجد مبتغاه، وعندما فرغت جعبته من طرق الحصول على وسيلة انتقال شرعية، قرر أن يسرق سيارة عمه (مرزوق) .

قام بوضع خطة ساعدته فيها الظروف كثيرًا، فقد قرر عمه أن يسافر هو وأسرته إلى الأقصر لقضاء فترة إجازة منتصف العام هناك، وقد ترك لأخيه ميسور مفاتيح شقته؛ لكي يتصرف في حالة حدوث أي طارئ.

فما كان على جمعة إلا أن ينتظر سفر عمه، وبعدها يقوم باقتحام شقته وسرقة مفاتيح سيارته، وبعدها مباشرة يقوم بنقل معداته إليها ويتجه إلى مبتغاه.

في يوم الاقتحام كان يشعر بالخوف، وكان مترددًا، وكانت فكرة العدول عن تلك الخطوة مسيطرة على عقله، ولكنه قام بها بسلاسة، فتح باب الشقة المكون من ثلاثة أقفال، بعدها اتجه إلى غرفة نوم عمه، وهناك وجد مفاتيح السيارة موجودة بطريقة بارزة على منضدة ما، أخذها واتجه مباشرة إلى أسفل، وبحث عن السيارة في مخزن السيارات الخاص بالعمارة؛ فوجدها مغطاة فرفع غطاءها، وبعدها شعر بالرهبة التي يشعر بها عندما ينظر إلى تلك النوعيات من السيارات ذات الأسهم الثلاثة داخل مركز الدائرة.

أخذ السيارة وخرج بها ولم يشعر حارس السيارات بأي شيء، لأنه كان من النوع الكاره لهؤلاء الحمقى الأغنياء، ويأبى

أن يصنع لهم أي خدمة، فقط يدعي الاهتمام أمامهم، وبعــدها فليذهبوا إلى السعير.

عاد إلى المترل، وقام بنقل ثلث معداته التي كانــت عائلتــه تتسائل عن فائدتها، ولماذا يجمعها، ولكنه كان دائمًا يعطـيهم إجابات سلبية، وبعدها توجَّه مباشرة إلى منطقة البحر الأحمــر الموازية للصحراء الشرقية.

بمساعدة خريطة الطرق التي كانت بحوزتــه، بالإضــافه إلى كفاءة السيارة استطاع أن يصل المناطق المجاورة للبحر الأحمــر، وظل لمدة يومين يبحث إلى أن وجد ضالته.

على ما يبعد عن الطريق الإسفلتي بحوالي نصف كيلو متــر وجد ضالته، فقد وجد جبلًا وحيدًا ذا ارتفاع متوســط قبالــة البحر، فاتجه إليه على قدميه، وهناك وجد جنّته.

كانت المسافه بين الجبل والشاطئ ثلاثين مترًا تقريبًا وكــان في الجبل كهف على ارتفاع مترين من الأرض، وكان الجبــل يعطي ظلًا جيدًا في تلك الفترة من اليوم، فاتجــه إلى الكهــف بتوجُّس ولكنه وجده فارغًا لا يحتوي على شيء، فقط حفرة في منتصف الجبل، وكانت مساحته تقارب الأربعين مترًا، وهــو بدون أي فتحات داخلية سوى بعض الثقوب.

عندما وجد أن ذلك المكان هو ما ينشده توجّه إلى السيارة، وأنشأ طريقًا من الطريق الإسفلتي إلى الجبل عن طريق تثبيت مجموعة من الأكياس البلاستيكية بمسامير خاصة طوليًّا بعرض السيارة.

وبعدها بدأ التحرك البطيء بالسيارة على ذلك الطريق البلاستيكي الممهد على رمال الصحراء، وعندما وصل بالسيارة إلى هناك بدأ في تفريغ أشياءه بداخل الكهف، وبعدها حدد المكان على الخريطة، وعاد مرة أخرى إلى مدينته لإحضار باقي المتطلبات والمعدات.

ذهب إلى المدينة مرتين قام فيهما بنقل كل ما يحتاجه إلى كهفه، وفي المرة الأخيرة قام بتوديع أهله، وأخبرهم بأنه في طريقه إلى رحلة مع أصدقائه إلى الإسكندرية، وبعدها اتجه مباشرة إلى بقعته من العالم.

عندما عاد إلى كهفه في المرة الأخيرة عاد وقت الشروق. قام أولًا بإزالة الطريق البلاستيكي حتى لا يأتيه الفضوليين، بعدها قام بالتعامل مع السيارة؛ ففك الإطارت وقام بدفسها داخل السيارة، ثم فك البطارية الكهربائية منسها حتى لا تعطب، ووضعها بداخل السيارة، وبعدها قام بإحاطة السيارة كليًّا

بكيس بلاستيكي ضخم وسميك، وقام بإغلاقه من أعلى، هكذا عندما يحتاج إلى السيارة سوف يجدها كما كانت.

بعد ذلك قام بتنفيذ الخطوة الأكثر أهمية، كان عليه أن يوفّر مصدرًا دائمًا للمياه العذبة، وقد إستطاع التعامل مع هذه المشكلة جيدًا، فالجهاز الذي قام بتنفيذه كان جهازًا يعمل لتحلية المياه المالحة، عندما قام بنقله كان مفكّكًا فما كان عليه إلا أن يقوم بتركيبه.

كان عبارة عن مجموعة من الألواح البلاستيكية الشفافة ذات سمك وقوام يشبه الزجاج، عندما تم تركيبها كانت مكونة من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول كان عبارة عن مكعب ذي سقف مائل، وله فتحه دائريه جانبيه يتم تعبئه المياه المالحه من خلالها، وفتحه مستطيله متصله بالجانب السفلي من السقف المائل بعرض المكعب، وأرضية ذلك المكعب يمكن أن تفتح من الأسفل لإزالة الأملاح المترسّبه بعد أن تتبخر المياه، الجزء الثاني من ذلك الجهاز عبارة عن قنطرة مستطيلة متصلة بالفتحة السفلية للسقف المائل، والطرف الآخر متصل بصندوق بلاستيكي آخر، والجزء الثالث عبارة عن صندوق ضخم معتم، يسمح بتعبة المياه العذبة به، وفي أسفله يوجد ما يشبه الصنبور.

كان قد صنع جهازًا آخر للتحلية من باب الاحتياط، من أجل إذا حدث طارئ أو أي شيء آخر.

قام بتركيب الجهاز، وقام بتعبئة المياه المالحة فيه قبل غروب الشمس بما يقرب النصف ساعة، وكانت كمية المياه المالحة التي وضعها به حوالي أربعة وسبعين لترًا من مياه البحر، عندما كان في منزله كان قد جرَّب كميات المياه التي سوف تتبخَّر، ووجد أن أنسب كمية مياه تتناسب مع حجم المكعب الشفاف وأشعة الشمس طوال فترة اليوم هي أربعه وسبعون لترًا من المياه؛ ليحصل على ما يقارب السبعين لترًا من المياه العذبة.

بعدما أن أنهى التعامل مع السيارة، وقام بتركيب جهاز التحلية، ونقل معظم أشيائه إلى الكهف، قرر أن الوقت قد حان لكي ينام، كان أحضر خيمة نوم صغيرة تكفي جسده، ولها فتحة شبكية للتنفس، قام بقضاء أول ليلة له في عالمه الخاص، وبعدها استيقظ على ضوء الشمس.

كان اليوم التالي يومًا مهمًّا له؛ فبعد أن استطاع توفير مصدر للمياه العذبة، كان عليه أن يوفِّر مصدرًا للغذاء، صحيح أنه كان قد أحضر طعامًا معلَّبًا سوف يكفيه ما يقرب الثلاثة أشهر، ولكن هو يفكر لما بعد ذلك، ومن هنا كانت معظم المعلومات التي قام بتجميعها وتدوينها من الشبكة العنكبوتية، فقد قرر أن يقوم بزراعة محاصيله الخاصة.

عندما أتى أول مرة وجد منطقة جيدة للغاية ليقوم بالزراعة بها؛ فقد كانت عبارة عن مساحة كبيرة من الأرض الصحراوية المحاطة بأجزاء صخريه من الجبل في شكل شبه دائري، ولها ما يشبه البوابة غير المنتظمة.

المعلومات التي جمعها كانت تساعده على تخصيب تلك الأرض؛ فقد قام بحفر جزء كبير من تلك الأرض، وقام بوضع كيس بلاستيكي مثقّب في الأسفل، وبعدها قام بردم الرمال عليه مرة أخرى، وقام بعد ذلك بتخصيب الأرض بعدد من المخصِّبات الصناعية التي قام بشرائها، بعد ذلك قام بتقسيم الأرض إلى ستة أجزاء سوف تمثّل ست مزارع لمحاصيل زراعية مختلفة.

كان ينوي أن تكون هناك مزرعة للتين وأخرى لليمون وأخرى للبصل وأخرى للذرة ومزرعة للتفاح ومزرعة أخيرة يزرع فيها الخيار والجزر والطماطم.

كل تلك المحاصيل كان قد أحضر لها الشتلات والبراعم من المدينة، وبالتخطيط الجيد لزراعتها سوف يحصل على بعضٍ من ثمارها بعد مرور ما يقرب من الشهرين والنصف.

قام بتكوين تلك المزارع في خمسة أيام، وكان قد جهز لكل مزرعة نصيبها من المياه العذبة، حيث إن كل مزرعة لها نصيب عشرة لترات من المياه يوميًّا، وكانت الأجزاء الصخرية المحيطة بالأرض الزراعية توفِّر مزيجًا جيدًا من الظل وأشعة الشمس.

بعد ذلك أعطى نفسه فترة من الراحة، وبعدها شرع في خطوته التالية.

ذلك الكهف ينوي أن يجعله منزله؛ لذا فقد أحضر كمية جيدة من الإسمنت، وعددًا من البلاط الكافي للمساحة الأرضية للكهف، بالإضافة لكميات جيدة من الإسمنت الأبيض، وعدد جيد من علب طلاء الحوائط.

عمل لمدة أربعة أيام بأعمال المحارة وتركيب البلاط لأرض الكهف، مع إغلاق كل الثقوب الصغيرة المؤدية إلى داخل الكهف.

بعد مرور تلك الأيام كان الكهف قد تحول إلى غرفة متحضِّرة ذات أرضية من البلاط الأبيض متوسط الجودة، مع حوائط ذات ملمس ناعم بفضل عمل المحارة، ولون أبيض مصفر بفضل عمل الطلاء، وذا سقف أبيض خشن بفضل تغطيته بالجبس الأبيض.

الآن أصبح لديه مكان متحضر كي يعيش به، وطعام معلّب يكفيه ثلاثة أشهر، ومصدر دائم للمياه العذبة، مـــع مزرعـــة سوف تؤمّن له جزءًا من طعامه أثناء مكوثه في عالمه.

قام بترتيب أشيائه بداخل الكهف، وبعدها قام بعمـــل مـــا يشبه البوابة لكهفه؛ حيث تكوّنت أيضًا من البلاستيك المقوى الشفاف، مع تثبيت بعض أطرافه بطريقة دائمة بجانب، وتثبيت الطرف الآخر بطريقة مؤقتة لفتحه وغلقه، مع صنع فتحـــة في المنتصف تحتوي على قماش مثقّب يسمح لمرور الهواء ولـــيس الحشرات.

كان قد أحضر معه معدات لصيد الأسماك، كانت معظمهـــا عبارة عن شباك وبعض العدد شبه المتطورة، لذلك فقد كـــان يقوم باصطياد بعض الأسماك من فترة لأخرى.

كان قد أحضر معه بندقية صيد من النوع الخفيف لاصطياد بعض الكائنات البرية إن وُجِدَت إلى جانب الحماية والـــدفاع عن نفسه.

أما مشكلة النيران فقد أحضر معه كميات هائلة من الثقاب والولّاعات الغازية، مع إحضار صندوق كبير يحتوي على مـــا يقرب من العشرين لترًا من الكيروسين ليساعد عـــن ســـرعة

اشتعال الأخشاب والأعشاب التي كان يتجول بحثًا عنها دائمًا بعيدًا عن منطقته، فكان عندما يقوم بتوفير الأخشاب والأعشاب يقوم بوضع ما يقرب الثلاثة مليمترات من الكيروسين عليها وبعدها يضرم النيران فيها.

وكان هناك أيضًا صندوق كبير يحتوي على بعض المعدَّات والأدوات الطبية، وبعض المطهِّرات، وحقن التيتانوس، في حالة تعرضه لأي خطر ما على صحته.

كانت حياته على هذا المنوال بعد مرور أربعة أشهر من العيش المنعزل عن الآخرين والعيش فقط بقوانينه:

يستيقظ في وقت الشروق، ويقوم بنقل الصناديق السبعة من المياه العذبة التي قام بتجميعها في الليلة الماضية قبل غروب الشمس؛ حيث يحتوي كل صندوق على عشرة لترات من المياه العذبة، ويقوم بري كل مزرعة بالجزء المخصَّص لها من المياه، وأثناء ذلك يقوم بجمع عدد من الثمار، وبعدها يعود إلى كهفه؛ حيث يقوم بوضع الثمار، بعدها يستحم قليلًا في مياه البحر المالحة وبعدها يمسح جسده من أثار المياه المالحة بجزء من صندوق المياه العذبة خاصته، والذي كان يحوي على عشرة لترات من المياه، وبعدها يفطر بجزء من الطعام المتبقي له من أسماك اليوم الماضي وبعض من الثمار، وبعدها يجوب المنطقة

ليجمع الأعشاب أو الأخشاب، وإذا كان لديه مخزون منها فإنه يقوم بلاستجمام أمام شاطئه، بعد مرور وقت الظهيرة يذهب لاصطياد بعض الأسماك أو يذهب لصيد كائن بري، وبعد عودته يقوم بمعالجة صيده - سواء كان بريًّا أو بحريًّا - عن طريق فصل اللحم عن العظم، وبعدها يقوم بشواء ما يُشبعه منها ويأكله، أما ما يزيد عن حاجته منها فيخزنه في الملح الذي يجمعه من نواتج تبخير المياه المالحة، قبل غروب الشمس بساعة تقريبًا يقوم بمعالجة مياهه العذبة؛ فأولًا هو يقوم بتفريغ الصندوق المعتم من المياه العذبة على سبعة صناديق منعزلة؛ حيث يقوم بملء كل منها بعشرة لترات من المياه، وبعد ذلك يقوم بنقل الصناديق السبعة إلى مكان تحت كهفه، وبعدها يقوم بفتح قاع الصندوق الشفاف، ويبدأ بإزالة الملح منه، ويقوم بتخزينه في مخزن الملح، وبعدها يقوم بملء صندوق آخر بمياه البحر، ويعبئه في الصندوق الشفاف حوالي خمس مرات، وبعدها يترك جهاز التحلية لكي يقوم بعمله في اليوم التالي.

بعد انتهاء يومه يذهب إلى كهفه، وتبدأ رحلة التأمل في السماء وفي الطبيعة من حوله، وكان قد أحضر معه تلسكوبًا كي يراقب به السماء من آن لآخر، وفي أوقات أخرى كان يقوم بكتابة مذكراته وأفكاره في أوراقه الخاصة باستعمل نظام

ضوئي بسيط يعمل بالطاقة الكهربية المتولدة من دينامو بسيط مصنَّع في الصين؛ حيث كان يحرِّك الدينامو بيديه لمدة عشر دقائق، فيعطيه إنارة من مصباح موفِّر صغير لمدة ساعة، وبعد ذلك يتجه للنوم العميق في سكون وهدوء الصحراء لكي يستعد ليوم جديد.

أما بالنسبة لمخلفاته اليومية فقد كان يقوم بتجميعها وتوزيعها على مزارعه كسماد طبيعي ضروري لتلك النباتات.

كانت المخاطر التي تواجهه من وقت للآخر هي ظهور ثعبان سام، ظهور سحب في السماء تعيق عمل أشعة الشمس، اشتياقه لبعض المنتجات البشرية من الطعام أو التكنولوجيا، وكانت مشكلته الكبرى هي شعوره بالوحدة.

دائمًا يشعر باحتياجه للآخرين، يحتاج إلى أن يتحدث مع أحدهم، أو يمازح آخر، أو حتى يتعارك مع واحد منهم، ولكن عمل اليوم المرهِق كان ينسيه ذلك، فقط في أوقات الليل كان يهاجمه شعور الوحدة.

في عدد من المرات كان قد قرر العودة إلى المدينة، ولكن في كل مرة يتراجع ويقوي نفسه بمبادئه وبسبب تركه هؤلاء البشر.

ظلت حياته كما هي، وبعد مرور ستة أشهر حدث شـــيء ما.

كانت تمر حافلة للسياح بالطريق الموازي لبقعته، وقد لفت نظر (أليكس) – عالمة البيئة – شخصًا يسير في اتجـــاه جبـــل متوسط الضخامة، ولكن هذا الشخص لا يبدو مثل البدو الذين رأت مثلهم كثيرًا أثناء رحلتها إلى القرية السياحية في جنـــوب البحر الأحمر، وقد شغل عقلها كثيرًا ما يفعله شخص ليس من البدو في تلك المنطقة المنعزلة.

ظل هذا التساؤل في عقلها فترة، وبعد ذلك نـــسيت أمـــره أثناء استمتاعها بوقتها في قريتها السياحية، إلى أن أتى يـــوم في جدول رحلتها، هو يوم حر بالدراجـــة الناريـــه ذات الأربـــع عجلات، عندها قررت أن تتجه إلى ذلـــك الجبـــل المتوســـط الضخامة خصوصًا أنه لا يبعد كثيرًا عن قريتها السياحية، فقط بعض الكيلومترات من رمال الصحراء وتكون هناك.

وبالفعل اتجهت إلى هناك بمفردها، وعندما اقتربت من الجبل تركت الدراجة وبدأت رحلتها على الأقدام، وعندما وصـــلت استغربت كثيرًا لما رأته؛ فقد وجدت جهاز التحليـــة، وبوابـــة الكهف، وآثار لنيران.

أرادت أن تعود أدراجها، ولكن ظهور شخص ما من الجانب الآخر من الجبل أثار فزعها وجعلها تركض للخلف، ولكن ما خفف سرعتها هو أن ذلك الشخص كان ينادي بصوت عالٍ: (لا تخافي، أنا لن أوذيك).. توقّفت ونظرت للخلف، ووجدت ذلك الشخص ثابتًا لا يتحرك، ربما من أجل إعطائها الأمان، وبعد ذلك كرر نفس جملته: (لا تخافي، أنا لن أوذيك.. كما أني هنا بمفردي).

أثارت الجملة الأخيرة فضولها وخوفها، وفكّرت كثيرًا في الهرب، ولكن فكرت أنها إذا هربت الآن فلن تعرف أبدًا ما الذي يحدث هنا.

لذلك فقد أخبرته بأن يقترب ببطء، وبالفعل اقترب منها ببطء، وبعدها تم التعارف الذي اعتبرته أليكس أغرب تعارف في حياتها على الإطلاق، بينما اعتبره جمعة أعظم وأهم تعارف في حياته كلها.

عندما فهمت أليكس ما الذي يفعله جمعة هنا أعجبت به كثيرًا، وأعجبت بطريقة تفكيره، وكلما أخبرها عن طرق للحياة في هذا المكان ازداد إعجابها به، فقد أراها جهاز التحلية ومزارعه وكهفه ومعداته، أما ما أثار دهشتها أكثر فهو تلك السياره التي قام بحفظها كتذكرة للعودة مرة أخرى في أية لحظة من اللحظات.

بعد فترة طويلة من الحديث قام جمعـــة بــدعوتهما للغـــداء؛ فأخرج قطعًا من اللحم البرِّي المملح وقام بـــشوائها، وبعـــدها أحضر بعض ثمار الذرة والطماطم والليمون، وقدَّم لها طعامهـــا في طبق بلاستيكي عريض مع شوكة وسكين، بعدما أكلا قادها إلى مزرعة التفاح، وقام باقتطاف ثمرتين وأكلاها معًا.

عند اقتراب وقت الغروب قام بمعالجة المياه العذبة والمالحـــة، وأثناء ذلك أخبرت أليكس أصدقاءها بأنها سوف تقضي الليلـــة بالخارج، ولا يجب عليهم أن يقلقوا عليها.

عندما ضرب الليل المكان دعاها جمعة إلى داخل الكهـــف، وهناك أثار دهشتها نظام الإنارة الداخلية، ولكن بمرور الوقـــت بمفردهما بالداخل، وبعدما ارتفعت مشاعرهما وجدا أنفـــسهما غارقين في تقبيل بعضهما البعض، وشرعا في ممارسات حميمة في الجو الصامت الهادئ للصحراء، وبعدها ناما في هدوء الصحراء الفاتن.

في الصباح قررت أليكس البقاء يومًا آخر معه، وتكـــررت أحداث اليوم السابق مع نزولهما إلى الميـــاه، وذهابهـــا لـــصيد الأسماك التي سيأكلانها.

في صباح اليوم الثالث ودعت أليكس جمعة، وذهبت إلى قريتها، ومن بعدها إلى بلادها، لتتركه في عزلته ووحدته لفترة طويلة أخرى.

كان يومًا سيئًا للغاية في عزلته، فما حدث معه أنه تم إخراجه من النعيم، وبعدها تم الزَّج به في السعير، ولكن كما يقولون إن مرور الوقت هو العلاج المباشر للأحزان والهموم والاكتئاب.

مرت فترة قاربت العام وجمعة منخرط في عالمه، يقوم بتطويره وإضافة لمساته كل فترة، وكلما شعر بالوحده تذكَّر أليكس، واليومين الذين قضاهما معها، ظل يعمل ويفكر ويتأمل طوال تلك الفترة، وبعد مرور بعض الوقت قام بتسمية تلك البقعة التي يعيش بها (جو)، كما كانت تناديه أليكس، إلى أن أتى ذلك اليوم الساحر في حياته.

بدون سابق إنذار ظهرت له أليكس أثناء انشغاله بري إحدى مزارعه، كاد أن يخترق السماء من الفرح لرؤيتها مرة أخرى، فارتمت هي في أحضانه، وظل يعانقها إلى أن سمع صوت بكاء طفل...

أخذته أليكس وعلامات الاستفهام تملأ وجهه، إلى أن وجد حقيبة كبيرة تحتوي على طفلين، من ملابسهما يبدو واحد

منهما طفل والآخر طفلة، بعدها سمع جملة توقعها مسبقًا: (انظر لهذين الملاكين.. إنهما طفلاك يا محبوبي)..

بعدها أفهمته ما حدث، وأن اليومين اللذين قضتهما معه قد أديا إلى حملها منه، وأنها قد رزقت بطفلين توأم غير متطابق منه.

لم يعرف كيف يفكر، ولكن الشعور العام بفرحته بوجـــود أليكس غطى على شعوره بالاستفهام والاستغراب.

ولكن عندما أخبرته أليكس أنها قررت أن تنتقل وتعيش معه في أرضه استغرب قليلًا، وبعدها انفجر من الفرحة، وبعدها بدأ يفكر في المسئوليات الجديدة الضخمة التي سقطت على عاتقـــه بدون إنذار.

أولًا عليه أن يشغِّل جهاز التحلية الثاني، وبعدها سوف يزيد من الرقعة الزراعية، و... و... و... ومسئوليات لا نهاية لهـــا، ولكن أليكس كانت تعلم ذلك، ولهذا أحضرت معداتها أيضًا، وبدأت في تركيبها وتجهيزها، ولكنها أحضرت أجهزة متقدمة، وحدات تحويل الطاقة الشمسية لكهربية، ومعدات تكنولوجيـــة لأهداف كثيرة ومعقدة.

استغرق جمعة الكثير من الوقت حتى يتعود على تلك الأشياء والمسئوليات الجديدة، ولكن بمرور الوقت جنبًا إلى جنب مـــع

أليكس وسارة و مارك استطاع المرور من الصعوبات والمشاكل..

وبعدها مرت السنين، في خلالها كبر الطفلان، وقام الوالدان بتربيتها وتعليمهما الأشياء الأساسية والضرورية، وقررت أليكس أن يعودا إلى بلادها مرة أخرى ليستمر تعليمهما، وأن تزورهما من آن للآخر، بينما في الأوقات الأخرى سوف تكون مع زوجها جمعة.

مرت سنين وسنين، وكبر كل من جمعة و أليكس في العمر، حتى قررت أليكس أن الوقت قد حان ليترك كل منهما مدينتهما (جولكس)؛ لكي يتم رعايتهما بشكل أفضل في بلادها، في بادئ الأمر رفض جمعة، ولكنه وافق بشرط أن يتم دفنه عند مماته في بقعته المفضلة من العالم.

مرت بضع سنين أخرى، وبعدها توفي جمعة، وتم دفنه هناك، وبعد ذلك بعامين توفيت أليكس، وتم دفنها هناك بجانب قبر جمعة.

بعد ذلك عمل كل من سارة ومارك وزوجيهما على أن يعرف العالم قصة والديهما، بعد أن أبقى كل من جمعة وأليكس تلك البقعة سرية طوال حياتهما، وبالفعل عرف العالم قصتهما، وأصبحت (جولكس) مزارًا عالميًّا بعد ذلك، وظلت ذكراهما بعد ذلك إلى الأبد.

قام جمعة ببناء عمائد وأحداث ذلك العالم في ثلاثة أيام، وأحس خلالها كيف يمكن للحياة المنعزلة بقوانين الإنسان الخاصة أن تكون رائعة، ولكنه أيضًا شعر كم هو صحيح ذلك المثل الشعبي (الجنة من غير الناس ما تنداس)، ولكن بوجود الشخص المناسب بجانبك سوف تكون حقًّا في جنتك الخاصة.

بعد ذلك ظل يسير في شوارع الإسكندرية متأملًا في حياة سكانها، وينظر كيفية قضاء كل شخص حياته، وكيف يمكنه أن يكون شخصًا مهمًّا في مجتمعه، وكيف يمكنه أن يصبح شخصًا عاديًّا او مجرمًا أو حتى شحاذًا.

(١٦)

بعد مرور يومين أخرين جلس على أريكته وبدأ يفكـــر في العالم الافتراضي الجديد.

ماذا عن حياة عشوائية حيث يكون حاكم تلك العـــشوائي هو عملك؟ ماذا عن حياة رجال الأعمال الحر؟ لا.. ماذا عـــن حياة سائقي الميكروباصات؟

بعد أن تخرَّج من الجامعة بتقديره المنهك، وبعد إنهائه فتـــرة الجيش الإلزامية، وبعد رحلات من البحث عن عمـــل بـــاءت كلها بالفشل، نصحه صديقه نبيل بأن يعمل مثلـــه في مجـــال الميكروباصات، كل ما عليه هو استخراج رخصة قيادة مهنيـــة عن طريق شخص سوف يدفع له ثلاثمائة جنيه، وبعدها يذهب كي يتصوَّر ويتسلَّم رخصته المهنية، وبعد ذلك تعلُّم القيادة أمره سهل، لن يحتاج منه أكثر من أربعة أيام يتعلم على ميكروباص بالٍ، وبعد ذلك سوف يقدمه لصاحب الميكروبـــاص، وذلـــك الشخص سوف يقبل به فورًا عندما يعلم أنك مـــن أصـــحاب الشهادات العليا؛ لأنه شخص جاهل، ويجب أن يكون أشخاص

مثلنا تحت قبضته.. وعندما تبدأ العمل سوف تجد الأموال تنهال على رأسك من حيث لا تعلم.

مرت أيام وهو غير واثق مما هو مقدم على فعلـــه، فهـــو إن وافق على تلك المهنة يكون قد دمر شهادته الآن وللأبد؛ فـــإن كان لا يجد وظيفة كمحام الآن لانعدام الخبرة، فإنه لن يجـــدها للأبد إن عمل سائق ميكروباص؛ لأن أي مكتب محاماه محتـــرم أو غير محترم لن يقبل بشخص له مثل تلك الخلفية، ناهيك عن التحوُّل التام الذي سوف يحدث له.

ولكنه في النهاية وافق على ذلك؛ لأن الاحتيـــاج للأمـــوال يعمي ويدفع المرء لفعل أي شيء، أو كما يقولون: (الفلـــوس بتشتري النفوس).

في البداية كان يريد أن يتعلم القيادة قبل أن يخرج رخصته، ولكن نبيل أخبره بأن ذلك مضيعة للوقت؛ لأنك سواء تعلمت أم لم تتعلم قبل الاختبار ما لم تقم برشوة كل من تجـــد فلـــن تنجح أبدًا، والشخص الذي نتعامل معه ستقوم بإعطائه ثلاثمائة جنيه فوق المصاريف العادية للرخصة وبعدها يقوم هو بإنهـــاء كل شيء ما عدا فقرة التصوير، فهو لن يتصور مكانك، وبعد أن تتصور تأخذ رخصتك وكأن شيئًا لم يحدث.

وبالفعل حصل على رخصته بعد أن ترجَّى والده ألف مـــرة لكي يحصل على الأموال اللازمة لها، وبعد ذلك بدأ في تعلـــم القيادة على ذلك الميكروباص البالي، وتعلم أيضًا كيف يهـــرب من مخالفات أمناء الشرطة، وكيف يقوم بإسكاهم عن طريـــق تعريفة متداولة بين السائقين وبينهم.

وبعد ذلك اتجه لصاحب الميكروباص من أجل الـــ(إنترفيو)، وقد كان اللقاء باردًا في البداية.

الحاج برعاص: مين ده اللي إنت جايبه ياض؟

نبيل: ده جمعة اللي كلمت حضرتك عليه.

برعاص: أيوه أيوه.. الواد اللي مش لاقي شغل؟

نبيل: أيوه.

برعاص: ومش لاقي شغل ليه بقى يا سي جمعة.

كان جمعة في تلك اللحظة قد قرر أن يركل ذلك الوغد من على كرسيه الخشبي وبعدها يقوم بإحراقه بحجر المعسل الـــذي ينفثه و... ولكنه لم يفعل؛ فهو في احتياج للأموال بالإضافة إلى أن ميسور سوف يقتله إن لم يحضر الأموال التي أخذها منه من أجل الرخصة، لذا فقد جاوب السؤال بأدب.

جمعة: لأن البلد دي كفَّرتْني خلاص، من ساعة ما اتخرجت وخلَّصت جيشي وأنا بتعامل كإني زيادة، ومش راضيين يشغلوا أي حد إلا لو معاه واسطة.

وبعد ذلك أكمل: وأنا جاي اشتغل الشغلانه دي عشان الفلوس، والفلوس وبس.

سكت برعاص فترة بعد أن أنهى جمعة حديثه، وبعدها بدأ في التحدُّث.

برعاص: يعجبني الواد اللي يجيب من الآخر، إنت بتقول إن الحكومة مش راضية تشغلك، أنا بقى هابقى أجدع من الحكومة وهاشغلك، وكمان هاتبدأ من أول الأسبوع الجاي، هاسيبك تنزل مع (حمو البرنس) عشان تعرف خط الميكروباص، والليله ماشية ازاي، وبعد كده هاتنزل إنت في طرف لوحدك.

وأكمل حديثه: أظن مافيش واجب أكتر من كده؟ قول لي بقى إنت خرّيج كلية إيه؟

جمعة: معايا ليسانس حقوق.

قال برعاص بتلذُّذ: أحب اشغَّل المثقَّفين وأصحاب الشهادات معايا، أحبك يا بتاع الليسانس.. هااع هااع هاااااااع.

وبعد ذلك اللقاء دخل جمعة في اللعبة مباشرة، وبدأ يعرف من (حمو البرنس) خبايا الطريق، وكيفية التعامل مع الركاب، ومع أمناء شرطة المرور، وتسعيرة الأجرة، فإذا كانت الأجرة بجنيه من بداية الخط فإنها طوال الخط تكون بجنيه لأي راكب جديد، فقط تصبح جنيهًا إلا ربع في آخر ربع المسافة، عليه أن يأخذ كل ما يستطيع من أموال؛ فهؤلاء الركاب يحتاجونه، كما أنه يحتاج للأموال، أما إذا كُتبت عليه مخالفة فلتذهب للجحيم، فصاحب الميكروباص كفيل بها، أما أخطر شيء على الإطلاق هو أن يسحب منه الميكروباص لأي سبب من الأسباب، إن ساءت الظروف ووجد رجال الشرطة يريدون سحب الميكروباص فعليه ألا يسمح بحدوث ذلك بأية طريقة من الطرق؛ حتى وإن هرب به، وإلا سوف تكون كافة التكاليف من جيبه، وإن لم يدفع فحسابه مع برعاص سوف يكون شيئًا غير قابل للوصف.

عندما بدأ أول يوم في العمل كان قد قرر أن ينفذ كل ما أوصاه به (حمو البرنس)، فعليه ألا يرحم الركاب، وعليه ألا يكون ذا أخلاق أثناء القيادة، وعليه أن يجمع أكبر مبلغ مالي من أجل وقود الميكروباص، ومن أجل برعاص، وبعد ذلك كل ما يزيد فهو له.

بدأ اليوم بامتلاء ميكروباصه بالناس، وبتجميع الأموال، والسير وسط الطرقات الممتلئة، حاول أن يدير المذياع، ولكنه لم يجد به شيئًا سوى الهراء، أما عن شرائط الكاسيت فهي كارثة ثقافية لم يكن عقله على استعداد بعد لتقبلها، من فترة لأخرى يطلب منه أحد الركاب أن يتوقَّف ويضطر لأن يضايق عشرات السيارات من أجل أن يصل إلى الرصيف، وأوقات أخرى يتوقَّف كي يركب شخص آخر، وأوقات أخرى يستخدم لغته البذيئة في حالة تذمُّر أحد الركاب بسبب الأجرة، هكذا علمه البرنس؛ فأقصر الطرق لكي تجعل راكب متذمر من الأجرة يدفعها هي استخدام لغتك البذيئة، فهو سوف يجد من موقفك الهجومي أنه لا داعي للشجار من أجل ربع جنيه، أما إذا قرر أن يخوض تلك المعركة؛ فالطرد من الميكروباص هو مصيره المحتوم.

في نهاية طرفه أو دوام عمله وجد نفسه يمتلك أموالًا كثيرة، جزء منها لوقود الميكروباص، والآخر لبرعاص، أما الباقي فزاد عن الأربعين جنيها... شعر في داخله أن الدنيا أخيرًا ابتسمت

له، فإنه لم يعمل لوقت طويل وحصل على أموال جيدة، لو أنه تمسك بذلك العمل فسوف يكون غنيًّا يومًا من الأيام، وربما يستطيع امتلاك ميكروباصه الخاص.

تكرر نفس اليوم من العمل مرات ومرات، فقد أصبح يعمل بتلقائية، يقود دون تركيز كامل؛ فقد حفظ الطرقات، وعرف تقريبًا ردود أفعال السائقين الآخرين، يقوم بملء الميكروباص بالوقود، يدفع لأمناء الشرطة مبالغ حقيرة، تبدأ من الجنيه، وتنتهي بالخمسة جنيهات، وتعوَّد لسانه على أن يطلق أقذر السباب بطريقة عشوائية، وكأنه شيخًا يطلق تسابيحه الدينية في مسجده في يوم من أيام الجمعة.

ومع مرور الوقت أصبح لديه أصدقاء جدد من السائقين وأصدقائهم، ومن خلالهم تعرَّف على أنواع شتى من مذهبات العقل، من مخدرات وخمور و دخان، وبعد ذلك عرف الليالي الحمراء في (المُكَن)، أصبحت الأموال التي يحصل عليها لتلك الأهداف: (الليالي الحمراء والمخدرات).

كان هناك عدد محدود من السائقين ذوي الأخلاق، ولكنه دائمًا كان يقول: سحقًا لهم ولكل من يعرفهم؛ فليس هناك أفضل من أصدقاء السوء، فهم لا يشعرونك بالفرق، ولا يجعلونك تمل من نظام الدولة، ولا يجعلونك أبدًا تقلق من

السياسة وأهلها، فبالنسبة لهم ما دامت دواعي التكييف العقلي متوافرة، والأجساد النسائية التي تنتظـرهم بـأبخس الأسـعار متوافرة؛ فليذهب الباقي للسعير، وليبقَ بها أمد الآمدين.

أصبح يومه روتينيًّا في العمل؛ يجمع الركاب، يجمع الأموال، يتغاضى عن حقوق الطريق، يطلق السباب، يقـوم بإيـصال الركاب، وبعد انتهاء طرفه أو دوام العمل يتجه للراحة، وبعـد الراحة لأصدقاء السوء، وبعد انتهاء الجلسات المشئومة يـذهب للنوم، ومن بعدها مرحبًا بيوم جديد.

في يوم من الأيام، أثناء عمله بالفترة الليلية، كان يعمل تحت تأثير البانجو، وكانت الأغاني الوضيعة تملأ الميكروباص، وتزعج كل من بداخله، ولكن أحدًا لم يجرؤ على أن يطلـب منـه أن يقلل شدة الصوت، إلى أن ركب أحدهم من مسافة قريبـة إلى حد ما من نقطة نهاية الخط، وأعطاه جنيهًا؛ فلم يعطِـهِ جمعـة الباقي، بدأ الراكب في الحديث...

الراكب: في باقي ورا يا أسطى..

جمعة: باقي إيه؟ إنت راكب منين؟

الراكب: لسه راكب دلوقتي.

جمعة: الأجرة بجنيه من هنا.

الراكب: إزاي؟ أنا طول عمري بركب بخمسة وسبعين قرش من هنا.

جمعة: ده طول عمرها بجنيه من هنا، ولو مش عاجبك خد جنيهك وانزل، أنا مش فايق ل..... أبوكم على المسا.

صمت الراكب قليلًا وبعدها بدأ في التحدث: يا عم خلاص أنا مش عايز باقي.. بس تعرف اللي إنت بتعمله ده غلط.

جمعة: غلط إزاي يا خويا؟

الراكب: إنت كده عمرك ما هايباركلك في فلوسك.

جمعة:إزاي يعني؟

الراكب: إنتوا كلكم يا بتوع المشاريع ربنا مش بيباركلكم في الفلوس، عشان كده شكلكم عِرَرْ وهاتفضلوا طول عمركم عِرَرْ.

هنا استشاط عقل جمعة غضبًا، وأوقف السيارة بطريقة مفاجئة جعلت السيارة التي تسير خلفه تصطدم به، وبدون أي إنذار مسبق أخرج جمعة قطعة معدنية ثقيلة من جانبه تشبه العتلة لحد بعيد، وبعدها خرج من الميكروباص واتجه إلى باب الركاب.

فتح الباب، وكان ذلك الراكب جالسًا بجانب الباب، ولكنه كان قد بدأ بالارتعاد؛ لأنه لم يكن واثقًا مما سوف يفعله هـذا السائق.

فتح جمعة الباب وقال: بتشتمني يا ....

وبعدها أخرجه بعنف، وبدأ في توجيه الضربات الحديدية للراكب واحدة تلو الأخرى، عدد منها أدَّى لتحطيم رأسه مما أدى لوفاته، وكان سائق السيارة الخلفية متجهًا ليتشاجر مع جمعة؛ لأنه السبب في تحطيم سيارته الخاصة، فما كان من جمعة إلا أن حطَّم رأسه هو الآخر، ورأس كل من حاول تكبيل حركته، وبعد ذلك انهال أحدهم بكرسي على رأسه؛ مما أدَّى إلى فقدان وعيه.

حدث الكثير والكثير من الأحداث؛ بداية من استيقاظه في السجن، مرورًا بسلسلة التعذيب التي حظي بها قبل محاكمته من قبل رجال الشرطة المتعددين، ومرورًا بتخلي جميع أصدقائه عنه واستنكار عائلته له، انتهاءً بحكم الإعدام الخاص به، والذي أتى بسرعة لعدم دفاع أي محامٍ عنه.

وبعد مرور الفترة الزمنية التي تسبق تنفيذ الحكم؛ حيث كانت تلك الفترة أسوأ فترة زمنية ممكنة، فليس هناك أسوأ من

معرفة اليوم الذي ستموت فيه؛ خاصة إن كان قد قرر آخرون أن تموت إجباريًّا.

قام في تلك الأيام بالاستغفار وحسب، لعل ربه يغفـــر لـــه ويتوب عليه، ولكن في رأسه هو يعلم بأن مكانه هو الجحـــيم؛ فقد خلق الجحيم لأمثاله، هو يعلم بأنه سوف يـــنعم بـــسنين وسنين من العذاب في الجحيم إلى أمد الآمدين.. بعد مرور تلك الفترة أتى يوم تنفيذ الحكم، هو يتذكر الخطـــوات الثقيلـــة إلى غرفة الشنق، ومحاولات الهرب والدفع من قبل رجال الـــشرطة، ها هو حبل المشنقة ينتظره بمنظره الأسطوري، وهذا هو رجـــل الدين الذي سوف يطلب منه أن يطلق شهادته الأخيرة، وكأنها سوف تفيده، وذلك هو الجلاد الأشهر الملقَّب بـــ(عشماوي).

لقد قرأ من قبل أن الموت شنقًا ليس سيئًا لتلـــك الدرجـــة، فالأمر يستغرق أربع ثوانٍ فقـــط، فأنـــت لا تمـــوت بـــسبب الاختناق، وإلا كان ذلك عذابًا، ولكنك تموت بسبب انكسار رقبتك بسبب وزن جسدك، ويؤدي هذا للموت المباشر.

حسنًا.. مرحبًا بالموت.. وداعًا أيها العالم.

أنهى جمعة ذلك العالم وهو يشعر بشعور غريب؛ فقد راق له عالم سائقي الميكروباصات بطريقة عجيبة، ولكنـــه يعلـــم أن

نهايتهم دائمًا سوداء؛ إما بالقتل أو الموت بسبب حادثة ما، أو السجن، أو لو كان حظه جيدًا فيكون بتغيير الوظيفة.

قام جمعة بإنهاء ذلك العالم في فترة زمنية تقترب من اليوم ونصف، وقام بعدها بالاسترخاء والأكل وإنهاء عدد من المكالمات القادمة من القاهرة، سواء كانت من أهله الذين يريدون عودته للمنزل، أو من صديقه خليل الذي يطالبه بالعودة حالًا، أو أنه سوف يأتي إليه هو وأصدقائه؛ فقد بدأ الجميع بالقلق عليه، ولكنه أخبرهم بأنه يريد قليلًا من الوقت بمفرده، وترجاهم بأن يتركوه فترة أخرى وحيدًا قبل أن يتجه إليهم، وأقنع الجميع، ووافق معظمهم على مضض.

(١٧)

ظل بعدها فترة طويلة غير قادر علـــى تكـــوين أي عـــالم افتراضي، فقد أصبح الحزن يسيطر على عقله أكثـــر فـــأكثر، وكان جسده يسبب له آلامًا حادة يؤدي إلى تشتيت تفكـــيره لفترات وفترات.

ظل على تلك الحال حوالي ثمانية أيـــام إلى أن أتـــى اليـــوم التاسع، وحدث ما لم يكن يتوقع.

أثناء سيره في أحد الشوارع الجانبية المظلمة متجهًا إلى طريق البحر، وكانت الأفكار الـــسوداوية تـــسيطر علـــى رأســـه، والمكالمات الهاتفية التي لا تنتهي من القاهرة، فقد أعطوه تـــسعة أيام أخرى، وبعدها سوف يأتون إليه، وكل ما جعلهم يصبرون عليه إلى الآن هي رغبته الملحَّة للمكوث بمفرده قليلًا.

أثناء سيره وجد أحد اللصوص المتجولين يقـــوم بإحـــدى عمليات التثبيت الشهيرة (ولتلك العمليات طـــابع خـــاص في مصر؛ ففي الخارج يقولون محفظتك أو حياتك، أما في مـــصر فيقولون: طلَّع اللي في جيبك يا ابن ......، ولا يترك لـــك أي خيار آخر، وإن لم يكن فسوف تكون إحدى العاهات المستديمة

محفورة على وجهك، ولكنك لن تموت؛ فهم لايقتلون، فقط يتلذذون بجعل حياة الشخص (ابن الناس) جحيمًا لا ينطفئ بسبب عاهته)، في الأيام العادية سوف يتجاهل ذلك الموقف تمامًا، فما دام هو بأمان فليذهب الآخرين للسعير، ولكنه فكَّر في أنه لا يوجد شيء ليخسره، فبعد ثلاثة أسابيع من الآن سوف يكون على فراش الموت محضرًا نفسه للانتقال للعالم الآخر، فلن يحدث شيء إذا قام بشيء بطولي من أجل أحمق غريب لا يعرفه، وحتى إذا مات؛ فهذا أفضل من انتظار الموت.

قام برفع أضخم قرميدة منه واقترب في هدوء من اللص الذي كان يعطيه ظهره في نهاية جانب الطريق، وقام بإطلاق صرخة مكتومة، وفي نفس اللحظة هوى بكل قوته بالقرميدة على رأس الوغد، لم يصدر اللص أي صوت، فقد تهشمت رأسه وربما فقد حياته أيضًا، ولكن لم تكن هناك أصوات، وبعد ذلك نظر إلى الشخص الذي أنقذ أمواله وربما حياته للتو..

عندما نظر إليه وجد أنها فتاة، أو كما تخيل في تلك اللحظة ملاك رائع الجمال، فتاة تمتلك من الجمال قدرًا عظيمًا، كما أن ملابسها تدل على مركز اجتماعي رفيع الشأن، وكانت على وجهها علامات فزع بدأت في التلاشي، ولكنها لم تتحدث، فقط نظرت إلى جمعة، وبعدها نظرت إلى الوغد، فوجدت رأسه

سابحًا في دمائه، ثم نظرت إلى جمعة مرة أخرى نظرة امتنــان، شعر جمعة من خلالها بأنه يطير فوق الجميع.

قال لها جمعة: يلّا بينا من هنا قبل الناس ما تشوف الحرامـي وتفتكرنا إحنا اللي حرامية.

لم ترد عليه، ولكنها سارت إلى جانبه بخطًى مسرعة مبتعدين عن تلك البقعة اللعينة، عندما خرجا على طريق البحر نظر إليها جمعة، فوجدها ترتجف ارتجافه خفيفة، فما كان منه ســوى أن قام باحتضانها أملًا منه في أن يهدئها، استمر في احتضانها فتــرة ليست بقليلة مما جعل بعض الفضوليين الحمقى يحدقون بهمــا، وبالتأكيد كانت تدور في رءوسهم مجموعة من الأفكار مثــل: (يا لهما من فاجرين)، (همّا فاكرين نفسهم فين؟ في أمريكا؟!!)، (آه يا عم.. شهيص يا باشا)، (لو أبوهــا شــافها هايــدبحها ويدبحه)، (آه.. ما هي خلاص البلد باظت)، (ما يقلعوا ملــط أروش)، (دول أكيــد متجـــوّزين)، (بختــك يــا عـــم)، (قششششطة).

لاحظ جمعة تحديق الفضوليين بهما، ولكنه لم يهــتم بهــم، فليذهبوا هم وشياطينهم للسعير، توقف عن احتضانها عنــدما شعر بأنها قد هدأت، وبعدها نظر إليها؛ فما كان منها سوى أن أعطته نظرة امتنان، شعر جمعة من خلالها أنــه يطــير فــوق الجميع..

قال لها: أنا هاخدك لمكان تهدي فيه أكتر.. فأومأت بالموافقة.

قام جمعة بإيقاف سيارة أجرة وركبا الاثنان معًا، وبعدها طلب جمعة من السائق أن يذهب بهما إلى منطقة استانلي وطوال الطريق لم يتحدّثا، ولكن أفكارهما كادت أن تشتعل من الإثارة.

عندما نزلا اتجه بها إلى إحدى الكافتريات الهادئة المطله على البحر التي تشتهر بها الإسكندرية، وبالداخل اختار أحد الأماكن في الطابق الثاني؛ فقد كان المنظر سحريًّا، وزاد سحره شتاء الإسكندرية الساحر.

وبعد فترة من الصمت غير المريح، بدأت الفتاة في التحدث.

الفتاة: إنت أنقذتني من موقف ماكنتش عارفة ممكن يخلص ازاي.. شكرًا.. شكرًا جدًّا.

جمعة: العفو.. بس على إيه؟ أي حد كان مكاني كان هـا يعمل نفس اللي أنا عملته.

الفتاة: لا مش أي حد.. الناس دلوقتي بقت جبانة، تعـرف إن كان فيه واحد قبلك ماشي وشافنا بس عمل نفسه عبده.

جمعة: طب ما صَوَّتِّيش ليه؟

الفتاة: ما الحيوان ده قال لي إن أي صوت هايطلع مني هايخليني أندم عليه، وهايخلي وِشّي كله بِشَل.

جمعة: معلش.. الحمد لله إنك نجيتي منه.

الفتاة: أنا بشكرك جدًّا على اللي عملته معايا.

جمعة: العفو تاني.. بس أنا ماكنتش أقدر أسيب حاجة زي كده تحصل من غير ما ادَّخَّل.

الفتاة: مش بقولَّك أنا مش عارفة أشكرك ازاي، أنا نرفانا.

جمعة: جمعة.

نرفانا: جمعة.. اسم جديد.. مرسي يا جمعة على اللي إنت عملته معايا.

جمعة: العفو يا نرفانا.

نرفانا: تحب تشرب إيه يا جمعة؟

جمعة: مش عارف.. بس كابتشينو سخن ها يبقى تمام في السقعة دي.

نرفانا: وأنا كمان هاخد واحد كابتشينو.

نرفانا: وإنت ساكن فين يا جمعة؟

جمعة: أنا ساكن في الأزاريطة، بس أنا مش من هنا.

نرفانا: أمال منين؟

جمعة: أنا من مصر.

نرفانا: واو.. مصر؟.. وبتعمل إيه هنا في الإسكندرية في الشتا؟

جمعة وبعد أن تردد فترة: يعني.. دايمًا كنت باسمع عن جمال الإسكندرية في الشتا.. فقلت آجي أقعد أسبوعين هنا.

نرفانا: بجد إنت هنا عشان تستمع بجمال الإسكندرية في الشتا؟

جمعة: آه.. شوية كده.

نرفانا: يتهيَّألي أن دي حاجة مشتركة بيني وبينك، عشان أنا بعشق الإسكندرية في الشتا، الهدوء، ومناظر الغروب، ونضافة الطرق، وانعدام الزحمة والجو الساحر.

جمعة: طبعًا الإسكندرية في الشتا حاجة تانية خالص، أكِنّها مدينة أوربية، لكن في الصيف....

نرفانا: بووف.. الصيف بتبقى زبالة، مصيِّفين من كل حتة فيكي يا مصر، عربيات ملاكي من كل مكان، زحمة في

في كل الأوقات، وماتعرفش تعمل أي حاجة من زحمة الناس في أي مكان ممكن يتقعد فيه.

جمعة: آ..ه يتهيَّألي إني بكون جزء من المشكلة دي.

نرفانا: ههههه.. لا مش قصدي.. بس يتهيَّألي إنك شـــايف الفرق وإنت في الشتا بعد ما شفتها في الصيف عاملة ازاي.

جمعة: فعلًا.. معاكي حق.. الفرق ماحدش يختلف عليه.

نرفانا: قول لي بقى يا جمعة، إنت شكلك لسه في كليـــة.. مش كده؟

جمعة: آه.. حقوق سنة تالتة، وإنتِ؟

نرفانا: كلية طب سنة تالتة.

جمعة: أكيد دخلتيها بمزاجِك الكلية دي.. صح؟

نرفانا: آه.. ده حلم حياتي.. أنا طول عمري بحلم إني أبقى دكتورة.. صحيح إن بابا دايمًا كان بيحاول يأثّر عليـــا وأنـــا صغيرة.. بس أنا كنت حابَّه الموضوع ده من الأول.

جمعة: ليه؟ هوَّ باباكي دكتور؟

نرفانا: لا.. هو مش دكتور.. بس هو كان نفسه يـشوف حد من أولاده دكتور.. وخصوصًا بعد ما أخويا كَبَّر دماغـه من موضوع الدراسة وقرر إنه يعمل فرقة موسيقية ويلف بيهـا العالم، عمرك سمعت عن فرقة اسمها (سلاحف الترعة)؟

جمعة: هههه.. لا، عمري ما سمعت عنها.

نرفانا: ولا عمرك هاتسمع.. عمومًا هو لمـا يفـشل بابـا هايبقى يشغله في أي مكان برًّا معاه.

جمعة: ليه؟ وهو باباكي شغال إيه؟

نرفانا: هو سفير مصر في أوكرانيا.

جمعة: أووه.

نرفانا: ما تنبهرش أوي كده.. ده أنا مابشفهوش غير أربـع خمس مرات في السنة هو وماما.

جمعة: معلش بس برضه.. أكيد هو مخلي باله منك وهو برا، وعاملّك وضعك الاجتماعي.

نرفانا: معاك حق.. وإنت بقى باباك شغّال إيه؟

جمعة: بابا شغال وظيفة بيعتمد عليه فيها الملايين، ولــو في يوم بطّل يروح الدنيا دي ها تقف.

نرفانا: ليه؟ هو شغّال إيه وزير؟

جمعة: هههههه.. لأ.. باقُلّك لو يوم بطّــل يــروح الــدنيا هاتقف، هو شغّال سواق أتوبيسات عامة في القاهرة.

نرفانا: بجد؟!

جمعة: آه..

نرفانا: تمام، تمام.. أكيد بقى بِيْرَكّبَك معاه ببلاش يا عم.

جمعة: كل يوم وحياتك.. هههههههه.

نرفانا: جمعة.. إنت جاي الإسكندرية مع مين؟

جمعة: جاي لوحدي والله.

نرفانا: يعني ماعاكش أصحاب أو أي حد؟

جمعة: لا أنا بس.

نرفانا: ودي حاجة تانية مشتركة بيني وبينك.. أنا كمــان مابحبش دوشة الصحاب.

جمعة: يعني شوية.

وبعد قليل سعل جمعة بشدة وأمسك بطنه؛ فقالت نرفانا:

إيه؟ مالك؟!

جمعة: ولا حاجة.. شوية كحة عادية وهاتروح لحالها.

وبعد ذلك بفترة ظل كلاهما ينظر إلى أمواج البحر المسائية، وبعد ذلك نظرت إليه نرفانا وَثَبَّتتْ عينيها عليه بنظرة حالمة، استطاع جمعة أن يقرأ من خلالهما أنها تشكره على ما فعله لها، وأيضا هناك نظرة إعجاب، وكأنه فارس قام بإنقاذ أميرته في فترة العصور الوسطى بحصانه الأبيض، فلم يكن منه سوى أن نظر لها بابتسامة خفيفة، وظلت الأفكار تتفجر في رأسه؛ فهو حقًا معجب بها، فهي على قدر عظيم من الجمال، بالإضافة إلى شخصيتها غير المتكلفة، والتي تبعث الراحة إليه، ويوجد بينه وبينها عدد من الأشياء المشتركة بالإضافه إلى أنها معجبه به حقًا، هل يُعْقَل أن يجد فتاة تقع في حبه ويقع في حبها قبل موته بثلاثة أسابيع؟!

بعد فترة تكلمت نرفانا: قول لي يا جمعة.. إنت هاتعمل إيه النهاردة؟!

جمعة: مش هاعمل حاجة.. هاروَّح أنام.

نرفانا: لا أنا عندي ليك خطط تانية للنهاردة

نظر إليها جمعة بعدم فهم، ولكنها ابتسمت له وأخبرته بألَّا يقلق.

(١٨)

أنهيا جلستهما بالكافيتريا الراقية، وبعدها استقلَّا سيارة أجرة واتَّجها إلى منطقه سكنية راقية بالقرب من الكافيتريا، وعنـــدما نزلا أخذته نرفانا من يده وجعلته يصعد معها إلى الشقة الخاصة بها.

أثناء صعوده معها كانت الصورة تتضح تدريجيًا، ولكنه كان يخبر نفسه بأن شيئًا آخر قد يحدث، حتى دخلا إلى الشقة.

أخبرته نرفانا بأن ذلك المكان هو مكان معيشتها الخاص هي وأخيها، وأن أخاها لا يأتي هنا سوى بضع مرات في العام مـــن أجل وضع أشياء وأخذ أشياء أخرى لا معنى لها.

حتى الآن هو يحاول إقناع نفسه بحدوث شيء آخـــر غـــير الذي يتوقعه، فالذي يتوقعه يذهب به إلى ذكرى غير ســـعيدة بالمرة، عندما كان في العام الجامعي الأول، عندما اتفقوا جميعًـــا بزيارة إحدى شقق الليالي الحمراء، وانتهت تلك الليـــة قبـــل بدايتها، عندما هجمت قوات شرطة الآداب على المترل قبل أن يدخلوه فيه بربع ساعة تقريبًا، وبعدها أقسموا ألا يقتربوا مـــن

تلك الأماكن؛ حتى لا يأتي اليوم الذي يأتي فيه آبائهم كي يضمنوهم من قسم الشرطة بسبب قضية تتعلق بالشرف، وبعدها سيلازمهم العار طوال حياتهم، بسبب عادات الشعب المصري وأساليبه في التفكير.

ولكن الآن الأمر مختلف كل الاختلاف، ولكن عقله ما زال يحاول إقناعه بالعكس؛ حتى تبخَّر هذا كله عندما اقتربت منه ونظرت إليه بطريقة حالمة، وبعدها بدأت بتقبيله.

هنا حاول أن يتراجع وأن يهرب، فهو لا يحتاج إلى فعل معصية تذهب به إلى السعير بطائرة فانتوم بلا جدال، خاصة قبل اقتراب موته المحتوم بأسابيع معدودة، لو كان يعيش حياة عادية لما تردد للحظة واحدة، وبعد أن يقوم بفعلته سوف يقوم بالاستغفار، ولكنه لا يمتلك تلك الحياة العادية.

بالرغم من تلك الأفكار التي سيطرت على رأسه لم يهرب أو يبتعد، بل استمر في مجاراتها في تقبيله.

لم يهرب لأنها كانت أول تجربه له، وكان جسده يكاد أن يشتعل من فرط الإثارة، وعقله يكاد يغلي من حجم الأحاسيس والمشاعر التي تتدفق إليه من عبر مجسَّات جسده الحسية.

عندما استيقظ في الصباح الباكر وجدها نائمة على صدره، كملاك ناعم رائع الرائحة، لم يعرف كيف يفكر، لم يعرف إن كان عليه أن يفرح أو يحزن.

أليس هذا ما يحلم به كل شاب مهما اختلفت طرق تفكيره أو معيشته، أن يستيقظ من النوم فيجد فتاته التي يحبها نائمة على صدره، وكأنها تعترف بصمت أنك أنت هو بطلها وحاميها ومنك تستمد القوة والطمأنينة.

ظل فترة يتأملها وهي نائمة، ظل يتأمل جمالها الذي وصل إلى أوجه أثناء نومها.

وبعدها بدأت الأفكار الأخرى في الاشتعال في رأسه، فتلك الأفكار دارت حول المصيبة الدينية التي وقع فيها، فهو الآن قد تأكد أن مصيره هو السعير المحتوم، ولكن هل يمكن لربه أن يغفر له؟ هو لا يعرف.. ولكنه يعرف أنه لن يبتعد - على الأقل في ذلك التوقيت - عنها.

وأثناء تلك الأمواج من الأفكار المتخبِّطة استيقظت نرفانا وأعطته ابتسامة عريضة مع قبلة، وبعدها أخبرته بأنها سوف تذهب للاستحمام وبعدها سوف تحضِّر وجبة الإفطار.

أثناء تجهيزها لوجبة الإفطار ظل يراقبها ويفكر، مـــا هـــذا الظلم؟ لماذا وجد فتاة روحه عندما كان قد جهز نفسه للموت؟ لماذا الآن بعد أن كان لا يخشىأن يفقـــد شـــيئا؟ ولمـــاذا الآن أتيحت له الفرصة كي يعصي ربه، ولم يُتَح له الوقت الكـــافي ليستغفره، ظل يفكر ويفكر حتى سحبه صوت نرفانا من أفكاره قائلة: إيه؟ نطلب أكل أحسن من العك ده ولا إيه؟

ضحك جمعة:لا.. أنا بموت في العك.

بعد ذلك قرر جمعة أن يستمر معها إلى أن يعود إلى أهله في القاهرة وهناك سوف تبدأ رحلة التوبه؛ لعل ربه يغفر له، هـــذا ما فكر به، وهذا ما قرر فعله.

بعدما أكملا وجبة الإفطار ساعدها في توضـــيب المطـــبخ، وبعدها اتجها لمشاهدة التلفاز، بينما قاما بممارسة علاقة حميمـــة رائعة، وبعدها اتجها للتلفاز مرة أخرى ،وبعدها طلبـــا وجبـــة الغداء من أحد المطاعم، وبعدها حل الليل.

عندما حل الليل أخذته إلى أحد الملاهـــي الليلـــة الفـــاخرة بسيارتها الفاخرة التي كانت قد اقترضتها منها إحدى صديقاتها في الليلة السابقة، وأمضيا الليلة بذلك الملهى، اســـتمتع بوقتـــه كثيرًا هناك؛ فهو لم يزر تلك الأماكن من قبل .

ظل يتراقص على الإيقاع السريع للموسيقى العصرية، وبعدها أكمل معاصيه بعدد من المسكرات، وبعدها ظل يتراقص وسط الفتية والفتيات؛ حتى إذا انتهت الحفلة الصاخبة، وبعدها عادا إلى المترل مرة أخرى، وأنهيا اليوم بعلاقة حميمة أخرى.

وفي اليوم التالي تكرر ما حدث في اليوم السابق، ولكنهما ذهبا إلى أحد المطاعم الفاخرة ليلًا بدلًا من الملهى الليلي الفاخر، وهناك ظلّا يتحدثان ويطلقان النكات، وشاهدا بعض العروض الموسيقية الجانبية للمطعم، وبعدها عادا إلى التحدث مرة أخرى، كانت نرفانا تخبره عن مدى سعادتها لمقابلته ومعرفته، وكان هو دائمًا يخبرها بالمثل، وعن مدى حظه لمقابلته لها، واعترف كل منها للآخر بحبه بطريقة كلاسيكية نوعًا ما، وعادا للضحك والتهكم والسخرية على بعض الأشخاص المحيطين بهما.

كانت ليلة جيدة لكليهما، ولكنها كانت دائمًا تشعر بأنه يخفي شيئًا عنها، دائمًا هناك نظرة حزن تظهر على وجهه من آن للآخر، عندما تحاول أن تسأله لما هو حزين دائمًا يخبرها بأنه لا شيء، ويعود لطبيعته مرة أخرى، ولكنها حقًّا سعيدة معه للغاية، بالإضافة إلى أنه حقًّا لا يسعى إلى استغلالها، فهي من

يعرض عليه الأشياء وهو لم يطلب منها شيئا.. هي تحبه.. ولكن تلك النظرة الحزينة تقلقها دائمًا.

في اليوم الثالث حدث شيء خاص؛ فقد ذهبا في رحلة بحرية على يخت تمتلكه عائلة نرفانا، وهناك قاما بقضاء فترة رائعة من تلك الفترات التي تعلق برأس المرء طوال حياته، وكلما تذكَّرها شعر بالسعادة والأمل في عودة تلك الأيام.

اصطادا عددًا من الأسماك البحرية، وتناولا وجبة غداء فاخرة، وعندما حل الليل استلقيا على ظهر اليخت تحت غطاء صوفي ثقيل، وتشاركا كليهما درجة حرارة جسديهما، وظلا يتأملان جمال وروعة النجوم، وجمال سطوع نور القمر الذي لم يكن مكتملًا في تلك الليلة وتمتعا بهدوء الليل وسكينته.

لم يكن هناك الكثير من الحديث، كان هناك ذلك الشعور بالاستقرار والأمان لوجود كل منها إلى جانب الآخر.

ظلَّا باليخت حتى صباح اليوم التالي، وبعدها اتجها إلى البيت مرة أخرى، واستراحا به لفترة طويلة، وكانت تلك أفضل فترة قضاها جمعة مع نرفانا، فقد كان ذلك اليوم عاصفًا، والغيوم تملأ السماء، وكانت درجة الحرارة منخفضة للغاية، وقد ظلَّا طوال اليوم يتابعان التلفاز ويشربان المشروبات الساخنة أثناء

مكوثهما أمام الشرفة الزجاجية المطلة علـى البحـر الهائجـة أمواجه، مع تبادل دراجات حرارة جسديهما معًا.

في اليوم التالي ذهبا للتسوق، وصرفا ثروة على العديد مـن المنتجات، وفكر جمعة في شراء هدية لها تذكرها به؛ فهو يعلـم أنه راحل عن تلك الدنيا في غضون أسابيع قليلة شـاء أم أبى، فقام بشراء كثرة متواضعة لها بما تبقى معه من أموال قليلة.

عندما فعل ذلك فرحت كأي فتاة يقدم لها فتاهـا هديـة جيدة؛ فاشترت معطفًا أنيقًا له من حماستها من رومانسيته.

وبعد ذلك تناولا وجبة الغداء في أحد المطاعم، وبعدها اتجها إلى مجموعة من أصدقائها، وظلوا معهم فترة، وبعدها اتجها إلى الملهى الليلي، وظلا هناك حتى انتهت حفلته الصاخبة مع ملايين أخرى من الذنوب لكتفي جمعة، وانتهيا في الفراش معًا.

في صباح اليوم التالي استيقظ جمعة ليجد نرفانا نائمة علـى صدره، وظل يراقبها حتى استيقظت، وبعدها أخذا حمامهمـا الدافئ المشترك، وبعدها اتجها إلى وجبة الإفطار.

بعد أن انهيا وجبة الإفطار ذهبت نرفانا لتبـديل ملابـسها، وبعدها خرجت وأخبرته بأنها ذاهبة إلى الجامعة لحضور إحدى المحاضرات التي كانت متوقفة بسبب مشاكل جامعيـة متعلقـة بإضراب أساتذة الجامعة.

(١٩)

بعد أن ذهبت نرفانا إلى جامعتها بفترة انتابته نوبة عنيفة من الآلام، آلام غير عادية لم يشعر بها من قبل، ظل يتأوَّه كثيرًا، وأحيانا جعلته الآلام يصرخ صراخًا مكبوتًا إلى أن سقط في غيبوبة.

وجد نفسه يسير في طريق ذي لون أزرق باهت، وعلى جانبيه أشجار وبنايات ذات طابق وطابقين، لم يكن هناك أي شخص في هذا الطريق، ولكن فجأة مر من جانبه شيء يسير بسرعة عالية وتجاوزه، كان ذلك الشيء مشتعل بنيران حمراء متوهجة، نظر إليه وهو يبتعد، ولكنه قرر ألا يلاحقه، وأكمل مشواره، وأثناء سيره بهذا الطريق شعر بضجر وملل غير منتهٍ؛ فكل شيء ممل، وكل شيء كما هو لا يتغير، فقط - من وقت لآخر يظهر أحد الأشخاص من إحدى نوافذ تلك البيوت القصيرة وينظر إليه فترة وجيزة، وبعدها يعود مره أخرى إلى الداخل، حاول أن يدخل أحد المنازل؛ فطرق بابه ولكنه سمع ضوضاء عنيفة تكاد أن تصم أذنيه فابتعد، حاول أن يدخل منزلًا آخر؛ فوجد نفس الضوضاء ولا أحد يفتح له أبوابًا، فقرر أن يلاحق ذلك الشيء المشتعل لعله يجد فيه بعض الإثارة والمرح، فبدأ في إسراع خطاه، وبعد ذلك بدأ في العدو، وعندما بدأ في

العدو وجد نفسه في كل خطوة يلمس بها الأرض يقوم بالطيران إلى أعلى بارتفاع متوسط، وإلى الأمام بسرعة عالية، وتكرر ذلك الموضوع كثيرًا حتى قام بلمس الأرض مرة أخيرة، وبعدها استطاع أن يطير عن طريق تحريك قدميه في حركه دائرية، وبعد فتره من الطيران بدأ يرى ذلك الشيء المتوهج، وازداد اقترابه منه، وعندما اقترب منه بمسافة قدرها خمسين مترًا على الأقل، بدأت السماء في التحول من اللون الأزرق إلى الأحمر، وأضرمت النيران في الطريق الأزرق الهادئ من أسفله، وأشتعلت منازله، وخرج منها أهلها يشتعلون في الطرق، ولكنهم لا يموتون ولا يصرخون، هم فقط يشتعلون، ولكنه لم يهتم بما يحدث، فهو يريد أن يعرف ماهية هذا الشيء المشتعل، فبالتأكيد يحمل ذلك الشيء إثارة كبيرة، وعن بعد تكونت بوابة كبيرة مشتعلة، معلق عليها أجساد خامدة أكلتها النيران، وكُتب عليها بخط كبير واضح: (مرحبًا بكم في الجحيم)، لكنه مرة أخرى لم يهتم؛ فهو يريد هذا الشيء المشتعل، وعند اقترابه منه لدرجة تمكنه من لمسه كان قد عبر البوابة، ولكنه لم يكترث، عندها اتضح له ما هو ذلك الشيء، كان جسدًا بشريًّا، وكانت ملامحه واضحة وغير غريبة عليه أيضا، وعندما أمعن النظر مرة أخرى فيه وجد أنها نرفانا، وقالت له: (إيه اللي جابلك هنا؟) وقبل أن يجاوب صرخ أحدهم صرخة مزعجة،

وبعدها بدأ الجميع في الصراخ، هنا وجد أن النيران بدأت تشتعل في جسده، وبدأ في الصراخ الهيستيري.

استيقظ ليجد نفسه يصرخ، فقام بتهدئة نفسه وجلس على أقرب مقعد منه، وظل يفكر ويفكر، ما الذي يفعله هنا؟ إنه مقبل على الموت وهذا هو ما يفعله، عليه أن يخرج من هنا، عليه أن يبتعد، عليه أن يستغفر، صحيح أنها الفتاة التي طالما حلم بأن يعيش معها، ولكن هذا خطأ كبير في هذا التوقيت، وما هذا الحلم العجيب الذي رآه؟ هل هذه إشارة له كي يبتعد عن هنا؟ هو لا يعرف، ولكنه يعرف أنه في ورطة دينية عظيمة، عليه أن يبتعد من هنا.

نظر إلى الساعة فوجد أنه ظل فاقد الوعي ما يقرب من الساعة، كان الألم ما زال مستمرًا، ولكن بدرجة أقل، قام بتغيير ملابسه، وترك معظم أشيائه، ولكنه ارتدى ذلك المعطف الذي أهدته إياه، سيكون آخر هدية يحصل عليها في حياته، وسيذكّره دائمًا بها، وسيذكره أيضًا بخطاياه.

(٢٠)

نزل إلى الشارع؛ فوجد أنه يوم ممطر وعاصف، قرر أن يأخذ إحدى المواصلات من على طريق البحر، عندما عبر الطريق بأعجوبة (ذلك الطريق الذي يموت عليه يوميًّا فردان على الأقل)، وقبل أن يقوم بإيقاف إحدى الميكروباصَّات أو المشاريع كما يطلق عليها أهل الإسكندرية، وجد أنه يريد أن يسير أمام ذلك البحر الثائر قبل أن يتجه إلى منزله ومنه إلى مدينته... نعم.. فقد قرر أن غدًا هو يوم تركه للإسكندرية، ويوم عودته إلى أهله وعودته إلى ربه.

أثناء سيره وحيدًا على طريق الكورنيش، كانت الأفكار تعصف برأسه تمام كما تعصف به الرياح العاتية الآتية من البحر، الأفكار جميعها متعلقه بنرفانا، هو لا يعرف كيف ستفكر عندما تعود إلى المترل ولا تجده، وعندها ستبحث عنه ولكن بلا جدوى، لا يعرف ماذا سوف تظن به، هو حزين لما فعله؛ فهي أحبَّته حقًّا، ولكنه في موقف حَرِج يعرف نهايته جيدًا ولكنه يريد فقط نهايه جيدة لحياته الأخرى إن أمكن، مع أنه يتوقع الجحيم خصوصًا بعد ذلك الحلم اللعين الذي رآه..

بعد فترة من السير بدأت الآلام في التزايد مرة أخرى، فقرر أن يجلس قليلًا على إحدى الصخور الصناعية الضخمة التي تصطفُّ على طريق كورنيش الإسكندرية بعد أن توقف المطر منذ فترة وجيزة.

جلس على إحدى الصخور، وبعد فترة من الآلام توقفت، وعندما قرر أن يقف ويكمل طريقه، اشتعلت الآلام مرة أخرى، ولكن بطريقة جنونية فجة، فما كان منه سوى أن تمدد على تلك الصخرة وظل يصرخ ويصرخ، لم يكن هناك أحد ليسمعه؛ فقد كان الطريق خاليًا من المارة، هو الوحيد الذي يسير في هذا الجو العاصف، هو وأصدقاؤه من الآلام، حاول أن يجري اتصالًا هاتفيًّا، ولكن يبدو أن مياه المطر قد عرفت طريقها لهاتفه الجوال أثناء سيره في هذا الجو مما أدى إلى عطبه، فما كان منه سوى أن ألقاه بعيدًا بغضب.

ظلت الآلام تزداد وتزداد، وظل يصرخ ويصرخ حتى وصل لدرجة عدم الصراخ بسبب التعود على الألم، وهنا فكر لوهلة: (هل هذه هي النهاية؟ هل هذه حقًا نهايته؟ وحيدًا في مكان يبتعد عن عائلته بمئات الكيلومترات؟ في ذلك الجو العاصف وسط صوت الأمواج العاتية المتهشمة على تلك الصخور الصناعية؟ لا.. لقد أخبره الطبيب بأن أمامه شهران وبعدها سوف تنقض عليه الألام، ولكن يبدو أن هذا الطبيب قد أخطأ

في تقديره، فقد مر فقط شهر ونصف علـى إخبـاره بتلـك المعلومات، وها هي الآلام تنقض عليه الآن، فليـذهب هـذا الطبيب الأحمق إلى السعير، ولكن ماذا عليه أن يفعل الآن).

هنا وجد أن الآلام لها ترجمة واحدة: إن جسده لا يـستطيع أن يستمر في المقاومة، وأنه ينهار كلما مر الوقت، استنتج ذلك بسبب عدم قدرته على الوقوف مرة أخرى، واسـتمرار الآلام بطريقة أعنف وأعنف، هو يشعر بأن جسده سوف يـشتعل أو ينفجر من كثرة الآلام.

بعد مرور فترة وجيزة أتاه الشعور اليقين بأنه سوف يمـوت هنا، حاول أن يحرك ذراعيه وأن يبتعد عـن طريـق دحرجـة جسده، ولكن هذا أتى بنتائج عكسيه؛ فقد قدَّر الاتجاه الخاطئ، وسقط بين حجرين صناعيين ضخمين.

لقد ازداد الأمر سوءاً؛ ففي ذلك السقوط ربما قـد كـسر عظمة أو عظمتين، ولكنه لم يشعر بذلك؛ فقد كانـت آلامـه القديمة أشد وأعنف.

وجد نفسه ملقى على ظهره ووجهه مقابل للسماء من ذلك الشق الكبير بين الصخرتين، وهنا علم أنها اللحظة التي سـوف تنتقل فيها روحه للرفيق الأعلى، مر على ذاكرته العديـد مـن

الوجوه، منها والدته ووالده وإخوته وبعضًا من أصدقائه ونرفانا وعدد من الذكريات القصيرة، بعدها تكوَّنت في رأسه صورة رمادية تعكس توقف مخه عن العمل، فما كان منه سوى أن نطق الشهادتين بصعوبة بالغة، وترك روحه لتذهب، وكان آخر شيء يشعر به في حياته هو رذاذ المياه المالحة الآتية من تحطم الأمواج على صخور البحر، والتي استقرت على وجهه.

(٢١)

بعد انتهاء الأيام العاصفة بيومين، ومع بداية صــباح يــوم مشمس، كان هناك طالبان من فترة الثانوية العامة كانا قد قررا أن يقضيا اليوم خارج المدرسة في هذا اليوم، وصادف أن يقابلا صديقتيهما المائعتين اللتين قررتا أيضا أن يقضيا اليــوم خــارج المدرسة أيضًا، فقرروا جميعًا أن يتجهوا إلى كورنيش البحــر، وهناك يمكنهم التخفي خلف الصخور العملاقة من أجل تبادل القبلات دون أن يضايقهم أحد أو ربما أكثر من القبلات.

وفي البقعة التي تم اختيارها شَمُّوا رائحة كريهة، يبدو أنهــا رائحه أحد الكائنات التي بدأت في التحلل، لم يهتمــوا كــثيرًا فعندما يعبرون تلك المنطقة سوف تبدد رياح البحر تلك الرائحة اللعينة وتبدأ أوقاتهم السعيدة، وأثناء تجاوز إحدى الفتيات لشق كبير نوعًا ما بين صخرتين نظرت إلى الأسفل.

في البداية لم تفهم ما الذي يحدث بالأسفل، فعلى ما يبــدو أن هنا عددًا جيدًا من سلطعون البحر تلتهم وجبة جيدة مــن كائن بائس، ولكن عندما سقط حجر صغير نتيجة اصــطدامها به أثناء عبورها، هرب عدد من السلطعون بعيدًا لبعض الوقت.

تلك الفترة أدت لظهور الحقيقة لوهلة، ومن هنا بدأت الفتاة في الصراخ الهيستيري، وعندما كررت فعلة الصخرة الساقطة مرة أخرى بدأ الجميع في الفهم، وتوترت الفتاة الأخرى، وقام أحد الفتيان بتهدئة الفتاة التي فقدت صوابها، ليس من أجلها هي كفتاة، ولكن لكي لا تلفت الأنظار البعيدة إليهم، وهنا سوف يحدث ما يخشاه كل شاب قرر الهرب من المدرسه كي يتبادل القبلات مع فتاة ما خلف صخرة.

بعد أن هدأ الجميع قام أحد الفتيان بالاتصال بالشرطة من أجل أن يأتوا ويؤدوا عملهم، بينما طلب من الفتاتين أن تعودا أدراجهن ولا تذكرا شيئًا عن ذلك أبدًا، وطلب من صديقه أن يبقى معه كي يفهم الشرطة قصته المزيفة عن طريقة كشفه لتلك الجثة، ظنًّا منه أنه سيكون بطلًا لاكتشافه تلك الجثة، لعلها جثة شخص مهم في المجتمع وظل مفقودًا لفترة، لعله سوف يحصل على مكافأة مالية كبيرة.

عندما وصلت سيارات الشرطة وبعد التأكد من صحة ما أتاهم في الهاتف بدأ الجميع إجراءاتهم المتبعة في ظرف كهذا، وبعد أن تخلصوا من الكائنات المحيطة بالجثة قاموا بحملها، ومن بعدها بنقلها إلى المشرحة الخاصة بهم، وبعد أن قام أحد الضباط

باستجواب الفتى وصديقه تأكد من أهما أحمقان، ولا علاقة لهما بتلك الجثة سوى أهما اكتشفاها، وبعدها أطلق سراحهما بعد أن أخذ أقوالهما، وذهب الفتيان وهما يلعنان الشرطة ظنًّا منهما أن الشرطة قد أكلت عليهما حقهما المشروع في المكافأة المالية الضخمة.

وكان هناك عشرات من الفضوليين الذين بنوا عددًا من النظريات التي اعتبر كل واحد منهم أهما الحقيقة ومنها: (دول لقيوا واحد غرقان)، (ده فيه واحد اتقتل هنا إمبارح وبيشلوه)، (كان فيه شوية عيال صيع هنا بيتعاركوا وتلاتة منهم ماتوا والعيال خبوهم بين الصخر إبقوا قابلوني لو عرفوا من اللي قتلهم)، (دول بيجهّزوا المكان عشان يصوروا مسلسل)... وأشياء أخرى من هذا القبيل، في النهاية ذهب الجميع إلى مشاغلهم، وذهب جسد جمعة إلى المشرحة.

عندما وصلت الجثة لم يجدوا في الملابس أي شيء يشير إلى هوية صاحبها، ولا حتى هاتف محمول، فقبل أن يموت جمعة كان ترك كل شيء يشير إلى هويته في شقة الأزاريطة، ويبدو أن أحدهم قام قبل اكتشاف جسده بسرقة هاتفه الجوال.

قام طبيب التشريح بتشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة، واتضح أن السبب لا يعود لأي جريمة، فمجرد شق البطن ظهر

له سبب الوفاة.. ورم سرطاني متقدم في البكرياس، مع انفجار عدد من الشرايين والأوردة المحيطة به، فما كان منهم سوى أن يضعوه في مجمَّد الجثث إلى أن يتعرف عليه أحد من معارفـــه، وبعدها قاموا بنشر إعلان في عدد من الصحف اليومية، وبعدها تركوا أمر التعرف عليه لمعارفه، بشرط ألا تتعدى تلك الفتـــرة الشهرين، فبعد ذلك سوف يقومون بـــإجراءاتهم مـــع الجثـــة بالتخلص منها.

(٢٢)

الاتصالات غير المجاب عنها في هاتف جمعة الحلوي أفقدت عائلة جمعة وأصدقاءه صوابهم، فما كان من ميسور وزوجته إلا أن أخذوا خليل صديق جمعة وصاحب شقة الإسكندرية إلى الإسكندرية من أجل أن يأتوا بجمعة من هناك.

عندما ذهبوا إلى هناك وجدوا الشقه فارغة، ومعظم أشيائه متروكة في أماكنها، وهذا زاد توترهم، ظلوا منتظرين في الشقة لعله يأتي، ولكنه لم يأتِ، عندما سألوا البواب عن ما يعرفه، أخبرهم أنه كان يراه قليلًا وربما يكون بالشقة الآن، لم يفدهم أي شيء أو أي أحد عن مكانه، فبدءوا في رحلة البحث عنه.

بحثوا في معظم الأماكن، أقسام الشرطة، المستشفيات، عدد من الفنادق، عدد من المقاهي المحيطة، ولكن لا شيء يدلهم إاليه.

بعد مرور يومين من البحث غير المجدي أتت ميسور فكرة ربما أتته من الإرهاق، وربما من السخط من ذلك الابن الملعون، هو لا يعلم، كانت الفكرة هي أنه ربما قد مات ابنه أثناء سيره في المدينة، وعندما لم يتعرَّف عليه أحد تم نقله إلى المشرحة، لم يخبر أحدًا عن فكرته، فقط توجَّه مباشرة إلى المكان كي يسأل.

عندما توقّف أمام أبواب الجثث كي يتعرف عليهـا شـعر بإحساس غريب، فهناك جزء كبير منه يخبره بأن ابنه يقبع خلف أحد الأبواب الملعونة، ولكنه انتظر، باب وراء بـاب، جثـة مشوهة تلو الأخرى، حركة أمعائه تنقلب، وعنـدما تم فـتح الباب المرتقب كانت عيناه قد اعتادت منظر الجثث المـشوهة، فعندما رأى ابنه يرقد هامدًا تراجع للخلف قليلًا، ولكن رأسـه جعله يفكر بطريقة أخرى كريهة، جعلته يتظاهر بأن تلك الجثة لا تنتمي إليه، وبعد انتهاء عرض الجثث أخبرهم بأنـه لم يجـد ضالته، وبعدها خرج بعيدًا وتوجه إلى أقرب مقهـى شـعبي، وهناك بدأ يفكر.

الغريب في الأمر أنه لم يكن حزينًا بتلك الدرجة التي يحـزن بها الآباء عندما يفقدون أبناءهم، قد يكون السبب معرفته منـذ شهر ونصف تقريبًا بميعاد وفاة ابنه، أو ربما لأن ذلك الابـن لم يكن يروق له كثيرًا، هو لا يعرف، ولكن نوعـا آخـر مـن الأفكار تسيطر على عقله الآن.

منذ أن عرف الخبر المتعلق بميعاد وفاة ابنه وهو قلق كـثيرًا، ليس لوفاة ابنه، ولكن للمكان الذي سوف يدفن فيه ابنه، هذا الأمر سوف يكلفه أموالًا طائلة لم يكن يعمل لها أي حـساب،

أموال المقبرة التي تساوي آلافًا من الجنيهات، وأموال الشادر، والإجراءات القانونية التي لا نهاية لها، كل تلك الأشياء سببت له صداعًا مستمرًّا في رأسه، والآن قد أتيحت له الفرصة من أجل أن ينسف هذا الصداع للأبد، وأن يوفر كثيرًا من الأموال التي بالتأكيد هو في احتياج لها أكثر من ابنه الملعون.

كل ما عليه أن يفعله هو أن يكذب بأمر ما رآه في المشرحة، وبعدها سوف تهتم الحكومة بدفن ابنه من أموالها الخاصة، وبتلك الطريقة يكون قد ضرب عصفورين بحجر واحد، سوف يوفر الكثير من الأموال، وسوف يدفن ابنه ولكن من جيب الحكومة التي يكرهها.

ذهب إلى الشقة وأخبرهم بأنه توجَّه إلى المشرحة، ولكنه لم يجد شيئًا، وبعدها ظلوا يبحثون ويبحثون لفترة طويلة، بعدها فقدوا الأمل، ما عدا ميسور بالطبع الذي كان يتظاهر بالحزن والاهتمام، في النهاية عادوا جميعًا إلى القاهرة.

بعد أن انتظروا ثلاثة أسابيع أخرى أقنع ميسور زوجته بأن يقيموا شادرًا متوسطًا في شارعهم ليعلنوا عن وفاة ابنهم، وبالفعل تم عمل الشادر المتوسط الجودة، وبهذه الطريقة تم إعلان وفاة جمعة، أتى عدد متوسط من الناس معظمهم من

أقارب والدته مؤمنة، والباقي من أقارب ميسور وعدد جيد من أصدقاء جمعة، وبعدها عاد الجميع إلى بيــوتهم وإلى حيــاتهم، وبدأت رحلة نسيان أمر جمعة تدريجيًّا في عقــول كــل مــن يعرفونه.

(٢٣)

في أحدى ليالي الإسكندرية كانت تمر نرفانا بأحد الشوارع الرئيسية بالإسكندرية مع صديقة لها، وأثناء كلامهما رأت نرفانا منظرًا مألوفًا، ولكنه كان غريبًا، فقد رأت أحد الأطفال المشرَّدين يرتدي معطفًا عالي الجودة، والغريب في الأمر أنها تتذكر ذلك المعطف بالذات؛ لأنها قامت بشرائه في يوم من الأيام لشخص اعتقدت أنه يحبها.

توجهت مباشرة إلى المشرد وكلمته طالبة منه أن تعرف من أين حصل على ذلك المعطف، فأبدى خوفًا منها، فأعطته ورقة مالية، فرد عليها بأنه قام بسرقته من أحد المشردين الذين يقبعون بمنطقة البحر، بعدها تركته وشأنه واتجهت إلى صديقتها وفي عيونها دمعة خفيفة.

ريهام: إيه؟ مالك؟ بتعيطي ليه؟

نرفانا: فاكرة جمعة؟

ريهام: آه.. الحيوان اللي مشي وسابك؟

نرفانا: أنا النهاردة اتأكّدت أنه مشي ومكانش ناوي يشوفني تاني.

ريهام: ليه؟ هو الحيوان ده شفتيه قريب ولّا حاجة؟

نرفانا: لأ.. شايفة الواد المشرَّد اللي قاعد هناك ده؟

ريهام: آه.. اللي إنتي رحتي تديله فلوس.

نرفانا: شايفة الجاكيت اللي هو لابسه؟

ريهام: جاكيت نضيف آه، شكله سارقه.

نرفانا: مش كده، أصل الجاكيت ده أنا كنت شارياه لجمعة قبل ما يسيبني بكام يوم.

ريهام: الحيوان!!

نرفانا: إدَّاه لواحد مشرَّد عشان ما يفتكرنيش خالص يا ريهام.

ريهام: خلاص يا نرفانا ما تعيَّطيش.. أهو حيوان وراح.. والحياه ما بتُقَفْش.

نرفانا: معاكي حق.. بس أنا فعلًا حَبِّيته.

ريهام: معلش يا نيفي.. ما تزْعَليش بقى.. إحنا كنا متفقين على إيه؟.. أنا هافكَّرك، كل الولاد حيوانات.

نرفانا: آه... أيوه.

بعدها قامت بتجفيف دموعها وذهبتا إلى سيارتها، واتجهت إلى إحدى الكافتريات؛ حيث ينتظرهما أصدقاؤهما.

بعد مرور أكثر من شهرين ونصف كانت نرفانا تجلس أمام تلك الكترة المتواضعة التي أحضرها لها جمعة في يوم من الأيـــام، وكانت تضع أمامها صورتان واحدة كان فيها جمعة يحتـــضنها عندما كان في يخت العائلة والأخرى كانت لجمعة فقط، كانت تنظر إليهما فترة وبعدها كانت تحتضن الكترة، وكانت تبكـــي وتبكي وتبكي، لقد أدركت أنه كان يحبها، كان يحبها أكثر مما أحبها أي شخص آخر، الآن عرفت سبب نظرات الحزن الـــتي كانت ترتسم على وجهه أثناء مكوثه معها، الآن عرفت الحقيقه كاملة، الآن عرفت كم كان مخلصًا لها، ولكنه لم يـــستطع أن يخبرها، ربما لأنه لم يرد أن يعكر صفو أفضل لحظـــات حياتـــه بسبب مرضه المشئوم، أو ربما كان يراعي مشاعرها، لقد أحبها وهي لم تصدق أنه تركها، ولكنه كان يمتلك من الأسباب مـــا يجعله يفعل، صحيح أنه كان قاسيًا في تركها، ولكنها عنـــدما وضعت نفسها بمكانه أوجدت له الأعذار، الآن هـــي تبكـــي، كانت تتمنى أن تكون معه عندما انتهت حياته، ولكن كل هذا قد ولى، ولكنه الآن مدفون في حديقة مترل العائلـــة، أو علـــى

الأقل جزء منه، لقد قطعت وعدًا على نفسها بأن تزوره وتحدثه مرة على الأقل كل أسبوع، هذا أقل شيء يمكن أن تفعله لـــه، خصوصًا بعد ما حدث له من أهوال.

لقد عرفت الحقيقة كاملة بعدما اتجهت إلى المشرحة الخاصة بالشرطة، وهناك عرفت حقيقة الأمر، وكان سبب توجُّهها إلى هناك تلك الحادثة المهولة التي حدثت في كليتها.

(٢٥)

بعد مرور شهرين ونصف تقريبًا من وفاة جمعة كانت نرفانا تدخل إلى مكان لم تكن تحبه كثيرًا لما فيه من انعدام الاحتـــرام للأموات من البشر الذين قادهم حظهم العاثر إليه.. ((مشرحة الكلية)).

هناك تتناثر قطع الجثث هنا وهناك، ودائمًا هناك من يقـــوم بتشريح إحدى القطع، والأمر يزداد سوءًا بسبب الرائحة المنبعثة من المكان، بالرغم من الاستخدام الدائم للفورمالين.

دخلت مع زملائها كي يحضروا السكـــشن، وقـــد كـــان سكشن مميزًا قليلًا، فقد كان من أجل دراسة أجزاء معينة مـــن الرأس البشري، بعدها دخل المعيد وأخبرهم عـــن مـــا ينـــوي تدريسه في هذا اليوم، وعليهم أن يضعوا مشاعرهم في صندوق محكم؛ لأنهم على وشك أن يروا رأسًا بـــشريًّا مفـــصولًا عـــن جسده، وبعدها سوف يخرجون المخ وأجزاء أخرى كثيرة.

أظهر البعض بعضًا من التقزُّز، وأظهر البعض الآخر عـــدم المبالاة؛ فهي ليست المرة الأولى التي يرون بها مثل تلك الأشياء، وبعدها أحضر المعيد أطروحته، ووضعها أمامه وأدارها لكـــي يشاهد الطلاب ملامحها، ولكي يدخلوا في جو السكشن.

بعدما أدار الرأس بلحظات قليلة سمـــع الجميـــع صـــراخًا هيستيريًّا لفتاة تمتلك من الجمال قدرًا عظيمًا، وتدل ملابـــسها على مركز اجتماعي رفيع الشأن، وتدعى (نرفانـــا)، وكـــان السبب أن ذلك الرأس القابع أمامهم كان يعود لشخص أحبته وأحبها منذ فترة لا تزيد عن شهرين ونصف، وقد كان يدعى (جمعة).

